شعر التَّمرُّد
في ديوان الأحنف العُكبريّ، دوافعهُ واتّجاهاته

وفاء بنت علي بن عيسى الزَّهراني
باحثة دكتوراه
بقسم الأدب كلية اللُّغة العربيَّة وآدابها بجامعة أمّ القرى

شعر التَّمرُّد في ديوان الأحنف العُكبريّ، دوافعهُ واتّجاهاته

وفاء بنت علي بن عيسى الزَّهراني
قسم الأدب- كلية اللُّغة العربيَّة وآدابها- جامعة أُمّ القرى- السعودية
البريد الإلكتروني : oon22moo22@hotmail.com

الملخص:

أهميَّته: يدور البحث في فلك التَّمرد الَّذي اتَّصفت به شخصيَّة الأحنف العُكبريّ النَّاقمة على كلّ شيءٍ في عصره، من خلال دراسة مُستفيضة لديوانه تقفُ على الدَّوافع الَّتي دفعته لذلك، ومعرفة الاتّجاهات الَّتي صبَّ فيها جام تمرُّده.

أهدافه: تهدف الدّراسة إلى التَّعريف بالأحنف العُكبري، وإلقاء الضوء على شعريَّته، والوقوف على أهمّ الدَّوافع التي دفعته للتَّمرد، ومعرفة الاتّجاهات الَّتي وظَّف فيها تمرُّده. **منهجه:** المنهج الاستقرائي الَّذي يقوم بتتبُّع شعرية التَّمرد في ديوانه للوصول إلى الدَّوافع الباعثة على ذلك، ومعرفة الاتجاهات الَّتي شكَّلت تمرُّده. **خطَّته:** يقوم البحث على مقدّمة، وتمهيد يتناول حياة الشَّاعر وشعْره، ومبحثين: أحدهما لدوافع تمرُّده، والآخر لاتجاهاته، ثمَّ الخاتمة لأبرز النَّتائج والتَّوصيات، وقائمة للمصادر والمراجع. **وأسفر البحثُ عن نتائج جاءت على النَّحو الآتي:** الأحنف العُكبري بشاعريَّته المُتمرّدة يُشكّلُ رمزًا من رموز الحِرمان، الذي ذاع صيته في عصرٍ كان يعجُّ بالظَّلمة والطَّبقية. ينشدُ أدب الأحنف المُتمرِّد غايتين نبيلتين: إحداهما التَّحرُّر من السُّلطات الجائرة، والأخرى التَّخلُّص من ويلات القمع الاجتماعي الَّذي أُرهق معه الفقراء أيَّما إرهاق. صوَّر الأحنف في أدبه المُتمرِّد التَّناقض التي كان يعجُّ به المجتمع، فقد كان الخلاف قائمًا على أشُدّه بين السَّادة والعبيد، فجاء شِعره ترجمةً فعلية لما يحدثُ في عصره.

الكلمات المفتاحيَّة: الأحنف العُكبريّ، التَّمرُّد، دوافع التَّمرُّد، خصائص التَّمرد، المجتمع الطَّبقيّ.

The Poetry Of Rebellion In The Diwan Of Al-Ahnaf Al-Akbari: Its Motives And Directions

Wafaa bint ali bin issa al-zahrani
Department of literature - college of arabic language and literature - umm al-qura university - saudi arabia
E-mail : **oon22moo22@hotmail.com**

Abstract :

Significance: the study revolves around the astronomy of the rebellion that characterizes the character of al-ahnaf al-akbari who is vengeful over everything in his time. Also, it extensively investigates his divan to explore the motives that led him to his mutiny and which trends show this mutiny clearly. **Aims:** the study aims to introduce al-ahnaf al-akbari, shed light on his poetry, identify the most important motivations that led him to rebel, and find out the trends and areas in which he employed his mutiny. **Approach**: the paper follows an inductive approach to track the mutiny poetry in al-akbari's divan so that it reveals the motivations behind his poetry and the trends that have shaped his mutiny. **Plan:** the paper contains an introduction, a preface dealing with the poet's life and poetry. Following this are two sections for the motives of his rebellion and the trends. Then,

Keywords: Al-Ahnaf Al-Ukbari, Rebellion, Motives For Rebellion, Characteristics Of Rebellion, Class Society.

المُقدِّمــة

اللهمَّ إنَّا نعوذُ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل، ونعوذ بك من التَّكلف لما لا نُحسن كما نعوذ بك من العُجْب بما نُحسن، ونعوذ بك من السَّلاطة والهذر كما نعوذ بك من العيّ والحَصَر.

فهذا بحثٌ عنْونته بـ"**شعر التَّمرد في ديوان الأحنف العُكْبري دوافعه واتّجاهاته**"، فالأحنفُ شاعر المُكدين في العصر العباسي الثاني، كان مشهورًا في زمانه إلَّا أنَّ ضياع ديوانه لعقودٍ طويلة جعله في عِداد المغمورين، وممَّا يثيرُ العجب في النُّفوس ابتعاد الدّراسات الأدبيَّة عن إبداعه الشّعري؛ لذا كان التَّصميم على خوض غِمار الدّراسة لظاهرةٍ تجلَّت في إبداعه الشّعري؛ تمثَّلت في كثرة شعر التَّمرد في ديوانه، وقد ظهرت جليَّة في أنواعٍ مُتباينة.

واطَّلعتُ على جملة من الدّراسات السَّابقة الَّتي تمحورت حول أدب الكُدْية والتَّمرُّد بصفة عامَّة، ولم أجد –على حدّ علمي القاصر– من أفرد شعر التَّمرد في ديوانه بدراسة مُوسَّعة مُستوعبةً لجميع أطرافه؛ لذا كان هذا البحث.

وقد أفاد البحث من دراسات عدَّة؛ أُولاها كان لصيقًا بـالأحنف، وهو بحث نُشر في مجلَّة التُّراث العربي للكاتب (أحمد الحسين) في العدد (٩٦/١٤٢٥هـ)، عنوانه: "الأحنفُ العُكبريّ شاعر المُكدين والمُتسوّلين".

ومن الدِّراسات الَّتي اطَّلعتُ عليها رسالة للباحث (فيصل العلي) عنْونها بـ"التَّمرد في شعر العصر العباسي الأول"، وجاءت دراسته مُؤطَّرة بحدود الزَّمان والمكان.

أمَّا الدِّراسة المُستفيضة فجاءت في موسوعة أدب المُحتالين، التي تناول فيها الدُّكتور (عبد الهادي حرب) مفهوم الكُدية، وعوامل انتشارها، وبواكيرها الأولى في الأدب العربي، ومثَّل لها في شعراء بني ساسان، وكان من جُملتهم الأحنف العُكبريّ.

أمَّا دراستي هذه فقد جعلتُ من شعر الأحنف انطلاقًا لها، فتتبَّعتُ التَّمرد

في ديوانه، وتوصَّلتُ من خلاله إلى الدَّوافع التي قادته إلى هذا التَّمرد، ولسبر أغوار هذا الموضوع تمَّ التَّخطيط له على نحو يكفل دراسة كلّ ما يتَّصل بهذه الظاهرة في الدّيوان، وذلك من خلال مُقدّمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وما يلزم من فهارس، أمَّا التَّمهيد فهو للتَّعريف بـالأحنف وشعره، وأمَّا المبحث الأول فهو لرصد دوافع التَّمرد عنده، وقد خُصّص المبحث الثاني لدراسة اتجاهات تمرُّده، وأمَّا الخاتمة فهي لأبرز النَّتائج والتَّوصيات، وبعدها المصادر والمراجع.

ويهدف البحث إلى التَّعريف بالأحنف وشاعريته، والوقوف على دوافع واتّجاهات تمرُّده، ويجيبُ عن سؤالاتٍ منها: من هو الأحنف؟ وما الموضوعات الشّعرية الَّتي حفل بها ديوانه؟ وما الدَّوافع التي دفعته للتَّمرد؟ وما هي الاتَّجاهات الَّتي عبَّر من خلالها عن تمرُّده؟

وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي الَّذي انطلق من تتبع التَّمرُّد في شعره، وأحسبُ أنَّني بذلتُ فيه ما بذلت، فإن بلغ درجةً من الحُسن فالحمد لله، وإن لم يكن كذلك فأحسبُ أنَّني اجتهدت.

التَّمهيد

الأَحْنَف العُكْبَري

أوّلا: حياته ونشأته:

اسمه ونسبه:

هو أبو الحسن عقيل بن محمد بن عبد الواحد التَّميميّ النَّهشليّ العُكْبَريّ، يعود نسبه إلى قبيلة نهشل

إحدى بطون قبيلة تميم من العدنانيَّة، ولم تذكر المصادر ذلك وإنَّما ورد في شعره.

مولده:

لم نعثر في المصادر التي ترجمت له على تاريخ ولادته، ولا المكان الذي وُلد فيه، وباستقراء ديوانه يترجَّح أنَّه وُلِد في عُكْبَرا؛ لانتسابه إليها، ولكثرة دورانها في شعره.

لَقَبُه:

لُقّبَ عَقِيلُ بن محمدٍ بالأحْنَف لعيبٍ في قدميه، وجاء في لسان العرب: (حنف[1]: الحنف في القدمين إِقْبالُ كلّ واحدةٍ منها على الأخرى بإبْهامها، والحنفُ: الاعْوِجاج في الرّجل، وهو أن تُقْبِل إحدى إبهامي رجليهِ على الأخرى).

أمَّا الجَوْهري في صِحاحه فيقول: (الأحنف: هو الذي يمشي على ظَهْر قدمه من شقّها الَّذي يلي خَصْرها)[2].

ويبدو أنَّ هذه العاهة جعلته يتمرَّد، فقد عاش في مجتمع طبقيّ اللاَّهِثُ

(١) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٤١٤هـ، مادة حنف

(٢) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط:٤، ١٤٠٧هـ،٥٣٨/٢.

فيه بالكاد يحصل على قوت يومه، فكيف برجل أحنف؟! فلا شكَّ أنَّ من يعيش بقدمٍ سليمة لن يدعَ لهذا الأحنف شيئًا!

حَيَاتُه:

في رحلة البحث اطَّلعتُ على كثيرٍ من المصادر التي ترجمت للأحنف لكنَّني لم أجد فيها إشارةً عن حياته ولا كيف قضاها، اللهمَّ إلاَّ ما يتَّصلُ بالكُدية، أمَّا تفاصيلُ حياته فلم تظهر لي إلَّا باستقراء ديوانه؛ فهو يُعدُّ وثيقةً صادقةً عبَّر فيها الشَّاعر عن خَلجَات نفسه وهُمومه أصدق تعبير، وقد يكون السَّبب وراء عدم شهرته –مَعَ أنَّه عاصر عمالقة الأدب كالمُتنبِّي وَالصَّاحب بن عبَّاد– شُعُورَهُ بالأنفة؛ مما عاق صلته بالخلفاء والوزراء، ونراهُ في أحايين كثيرة يشُقُّ عليهم عصا الطَّاعة ويهجُوهم بشِعْرِه؛ لأنَّهُ لم يعد يحتمل الحياة بينهم، فجاء شعرهُ ثوريًّا؛ لأنَّ الأوضاع السّياسية باتت تُؤرّقه؛ فلم يعد رضا الخليفة محلَّ اهتمامه ولم يتهافت على قصره، وقد أُشير عليه بأن يتكسَّب بالمديح لكنَّه ردَّ قائلًا:

قُلْـتُ دَعُـونِي أمُـتْ علـى كَمَـدِي أرَى كَثيـــــرًا ولا أَرى أَحَـــــدا(١)

ونتيجةً للسُّوءِ الَّذي رزحت البلاد تحت وطْأتِه أدركَ أنَّه (لن يشْتارَ العسلَ من اختار الكسل)، فأمسك بعصا الأسفار، أَلِفَ الغُربة وألفته، ولم تعد البلاد تُغْريه بالمُكوث فيها، فاختار أُفُقًا أرْحب، فتمرَّد على المكان وأهله لأنَّ وجوده لم يعد يجدي نفعًا؛ فأصحابه خلَّفوهُ وحيدًا بعد أنْ تخطَّفتهم يدُ المَنُون فعاش بعدهم في اغترابٍ وغُربة.

أُسْرتُه:

عاش الأحْنَفُ مغمورًا لا يُؤْبه به، فلم نجد في كتب التَّراجِم ما يُشيرُ إلى

(١) الدّيوان ١٩٩.

تفاصيل حياته، ولم تذكُر عن أُسرته شيئًا إلَّا أنَّ في ديوانه نتفًا تُشيرُ إلى أنَّه عاش وحيدًا بلا أهلٍ ولا أُسرةٍ تلُمُّ شعثه، وفي بعض نصوصه يذكُر أنَّ غاية مُنَاه أن يحصل على زوجةٍ تُقاسِمَه الحياةُ بِحُلوها ومُرّها، ومع أنَّه حاول الزَّواج مِرارًا وتكرارًا لكنَّ محاولاته باءت بالفشل الذَّريع، وفي تَجْربة مريرة له مع الزَّواج ابتلاهُ الله بزوجة نَكد؛ رُكّب الشَّرُّ فيها تركيبًا؛ ففي الوقت الذي يُفْترضُ أن تكون سكنًا له كانت هي على العكس تمامًا؛ ناقمةً على الدَّوام، كلّ يومٍ تزيدُ خِصْلةً من خصال الشَّر؛ لا تُقابِلُه إلَّا بوجهٍ مُكْفهر، بل إنَّها تعدَّت حدود الأدب معه فتحوَّلت من زوجةٍ آسِرةٍ إلى وحْشةٍ كاسرة، يقول في هذا:

وإنَّ إلَهِـي قَـدْ بَلانِـي بِزَوْجَـةٍ ... ورُكِّـبَ فيهـا مـا يَضُـرُّ ويُفْسِـدُ

جِرابُ المخـازي مـا عَلِمْـتُ وإنَّهـا ... تُبَـاهِي خِصَـالًا كُـلَّ يـوْمٍ تَزيَّـدُ

نِقَـارٌ وتَعْبِـيسٌ وَوَجْـهٌ مُكلِّـحٌ ... وتَبْصُـقُ فـي وجْهِـي فَـوَجْهِي

فَلَحْمِـي بِفِيْهـا كُـلَّ يَـوْمٍ مُعَضَّـضٌ ... وَصُـوفِي بِكَفَّيْهـا الغَـداةَ مُزَبَّـدُ[1]

مجالات اهتمامه:

غلب على اهتمامه أمران لحظتُ دورانهما في الدّيوان بشكلٍ لافتٍ للنظر؛ أولهما: الاهتمامُ بالتَّنجيم، وثانيهما: أدبُ الكُدْية.

أولًا: التَّنجيم:

(أورد الخطيبُ البغدادي في ترجمة الشَّاعر أنَّه كان مُنَجّمًا يشتغلُ بالنُّجوم والطَّوالِع)[2]، واهتمَّ بالتَّنجيم في بادئ الأمر لأنَّهُ يَدُرُّ عليه دخْلًا هو في أشدّ الحاجة إليه؛ فهو من أفراد الطَّبقة المُعْدمة الَّتي لا تجدُ ما يُقيمُ أَوَدَها، ورأى أنَّ

(١) مُزَبَّدُ: مُنفَّش، حاشية الدّيوان ١٩٩.

(٢) الدّيوان ٣٤.

الجهل ينتشر بينهم ومن السَّهل عليه أن يُغرّرَ بهم، فادَّعى معرفتَهُ بالتَّنجيم، وبدأ يقْرأُ للنَّاس حُظُوْظَهُم، وأكْثرُ مَنْ فُتِنَ بِه النّساء؛ لجهْلهنَّ ورغبتهنَّ في معرفة المآل لمستقبلهنَّ وما يُخفيهِ لهنَّ القدر، فكان يُصرّح برغبته في الحصول على المال بأيّ وسيلة، فهرعت إليه النّساءُ بلا تردُّد لسذاجتهنَّ وجهلهنّ، فإذا لم يتحقق لهنَّ قوله أشْبعنهُ شتمًا وسبًّا، ومَعَ اشتغاله بالتَّنجِيم إلَّا أنَّ في نصوصه ما يشي بسلامة مُعتقده، ولم يمتهن التَّنجيم إلَّا اضْطرارًا؛ فتَزِلُّ قدمه تارةً ويعودُ تارةً أُخرى مُلقيًا اللَّوم على من يُصدّقه؛ فكيف لضريرٍ يقرأُ للنَّاس حُظوظهم؟! هذه المُفارقة يقولُ فيها:

وَكَيْـفَ لأَعْمَـى أن يُقـوّم كَوْكبًـا وَيَـدْرِي إِذَا مَـا لاَحَ فـي الجَـوِّ

... ...

وَلَكِنَّهـا الـدُّنيا تُغيِّـر أهْلَهَـا فَـأَعْمَشُ كَحَّـالٌ وثَـوْرٌ مُطَبِّـبُ[١]

ثانيًا: أدبُ الكُدْيَة:

أجمعت كتب التَّراجِم التي ترجمت للأحنف على أنَّه ((شَاعِرُ المُكْدِيْن وَظَرِيْفُهم))، ووُجِدَ هذا النَّوع من الأدب لاتّساع الهُوة بين عالمين: عالم الفقر الذي جعل من الفِئران والسَّنانِير والحيَّات والعقارب والبُؤْس والموت رمزًا له، وفي المقابل هناك عالم الغِنَى الَّذي جعل من القُصور العاجِيَّة والأُسُود وَوحِيْد القَرْن رمزًا له، ((هذا الأدب في مُجْمِلِه شعبْيٌّ يُعبّرُ عن فئةٍ اجتماعيَّة مطْحُونة، ولا يتَّجهُ بِنظْمِه ونَثْرِه إلى السَّادة، وأنَّهُ كان صادقًا في التَّعبير عن هُموم طبقته))[٢]، وبالرُّجوع للسان العرب نجدُ مادة (كدا)[٣] جاءت بمعانٍ

(١) الدّيوان ١٢٠.

(٢) ظاهرة الكدية في الأدب العربي نشأتها وصفاتها الفنية، حسن إسماعيل عبد الغني، مكتبة الزهراء، ١٤١١هـ، ٣٣٨.

(٣) لسان العرب مادة: كدا.

متعدّدة أهمُّها: الكُدْيَةُ والكَادِيَةُ: الشّدة من الدَّهر؛ فالأحْنَفُ كَوَاهُ الفقرُ بِمَيْسَمِهِ، وَتألَّم من شدَّة وطْأتِه، فما كانَ منْهُ إلاَّ أنْ صبَّ جامَ ثَوْرته على الحُكَّام الخَوَنة الَّذين أسْهموا في اختلال الموازين واهتزاز القيم والأخلاق، فوقع بين أمرين كلاهُما مُرٌّ: إمَّا الحياة بشرفٍ، وإمَّا أن يستجديَ النَّاس ويطلب نوالهم، ومعَ هذا البؤس إلاَّ أنَّ أدب الكُدية يُعدُّ حسنةً من حسنات الحِرمان والفقر؛ وبوجودهما وُجِدَ شِعْر الكُدية، وديوانه ممتلئ به فيقول:

قَـدْ قَسَّـمَ اللهُ رِزْقِـي فـي الـبِلادِ ... يَكَـادُ يُـدْرَكُ إلاَّ بالتَّفَـارِيق

ولسْـتُ مُكْتسِـبًا رِزْقًـا بفَلْسَـفةٍ ... ولا بِشِـعْرٍ ولكِـنْ بالـمَخَارِيق

والنَّـاسُ قـدْ علمُـوا أنِّـي أخُـو ... فلسْـتُ أُنْفِـقُ إلاَّ فـي الرَّسَـاتِيق[1]

وتدلُّ داليَّته التي أنشدها (للصَّاحِب بن عبَّاد) دلالةً قاطعةً على أنَّه مارسَ الكُدْية زمانًا، فألفاظها ألفاظُ رجُلٍ خبيرٍ مُحنَّكٍ له مع الكُدْية صولاتٍ وجوْلات، جاء فيها:

إلَـى مْـنَ أَشْـتَكِي مَـا بِـي ... مِـن الإِفْـلاَسِ والجُهْـدِ

لَقَـدْ أتْعَبنِـي الـدَّهْرُ ... بِقَصْـدٍ شـرِّ مـا قَصْـدِ

فَـدَاخَلْتُ ذَوِي الأعْمَـا ... ل فِـيْ هَـزْلٍ وفـي جِـدِّ

فَلَـمْ أَرْبَـحْ مـن الحِـرْصِ ... سِـوَى الغُربـةِ والكَـدِّ[2]

ففي هذه المقطوعة كان (أوَّل من حاول أن يجمع طرائق المُكدين وفنون احتيالاتهم)[3].

---

(١) رستق: اللِّحْيَانِيُّ: الرُّزتاق والرُّستاق وَاحِدٌ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ أَلحقوه بقُرْطاس، وَيُقَالُ: رُزْداق ورُستاق وَالْجَمْعُ الرَّسَاتِيقُ وَهِيَ السَّوَادُ. لسان العرب.
الدّيوان ٥٤٣، اليتيمة ١٠٠/٣.

(٢) الدّيوان ١٥٨.

(٣) موسوعة أدب المحتالين ١٨٠.

آراءُ المُعاصرينَ للأَحْنف العُكْبريّ في شاعريَّته:

قال عنه "الثَّعالِبي" ما نصُّهُ: ((شاعر المُكدين وظريفهم، ومليح الجملة والتَّفصيل منهم"[١]، ونقل عن (الصَّاحب بن عبَّاد) قوله: ((لو أَنْشَدْتُكَ ما أَنْشَدَنيه الأَحْنَفُ العُكْبَري لنفسه وهو فَرْدُ بني ساسان اليوم بمدينة السَّلام وحَسَنُ الطَّريقة في الشّعر؛ لامتلأتَ عجبًا من ظَرْفه وَإعجابًا بنَظْمه))[٢].

وفي زمننا قال عنه (شوقي ضيف): ((وشعرهُ كشِعْر أمثاله من هذه الطائفة، يخلو من التَّنميق والمُحسّنات البديعيَّة، إذ هو شِعر الطَّبيعة والفطرة؛ ولذلك لا يلقانا فيه أيُّ حلية أو زينة، ... وفي رأيي أنَّ شعر الكُدْية والشّحاذة الأدبيَّة هبط بعد زمنه إذ شغلت مكانه المقامات عند بديع الزَّمان والحريري)).

وفاته:

بلغ الأحنف من الكِبَر عِتِيًّا فتخرَّمته المنيَّة عام ٣٨٥هـ ولم يُعرف مكان دفنِه، فكان الموتُ له راحةً من نكد الحياة وبؤْسها؛ لأنَّه عاش بين قومٍ ماتت عندهم العدالة البشريَّة فتاقت نفسه لعدالة ربّ السَّماء.

ثانيًا: موضوعات شعره:

نظم الأحنف شعره في أغراضٍ تقليديَّة كالفخر- الهجاء- الغزل- الوصف- الشَّكوى، ولم يقتصر ديوانه عليها بل تكرَّرت موضوعات بشكل لافتٍ للنَّظر تتعلَّق بالكُدية- العُزلة والاغتراب- النَّقد الاجتماعي للسّيادة الجائرة- التَّشاؤم- التَّمرد، وبهاته الموضوعات صوَّر لنا الأحنف بشاعة مجتمعه وما انطوى عليه من فسادٍ وجَوْر، وصوَّر لنا حالته في اختلاطه معهم؛ فتارةً يتنكَّرُ لهم ويهجُوهم، وتارةً يحتالُ عليهم بالحِيل والمَخَاريق، وتارةً يلعنُهُم ويدعو عليهم، كلُّ هذا ناشئٌ عن عَيْشِه في مجتمع تمايزت فيه

(١) يتيمة الدَّهر ٣/٩٩.

(٢) السَّابق.

الطَّبقات ولم يَعُد للفقير فيه مأوىً بينهم.

وصفه (الثَّعالبيُّ) بشاعر المُكدين لكنَّ شعره لم يكن في الكُدية فحسب بل تعدَّاها إلى موضوعاتٍ مختلفة منها:

الفَخْر:

افتخر (الأحْنَفُ) بجملةٍ من الصّفات، فهو رفيعٌ إذا ما تصدَّر مجالس قومه، يحظى بالسّيادة والشَّرف، يتمتَّعُ بالحِلم وإن بلغ به الطَّيش مبلغًا، يُوالي من عاداه وإن كان في قلبه مِرْجلٌ من غضب، يغفرُ ويصفحُ عمَّن أخطأ بحقّه وهذه لا يقدرُ عليها أيُّ أحد، كما افتخر بشدَّة صبره على لأْواءِ الحياة، راضيًا بالكفاف قانعًا بأيسر الطَّعام واللّباس، ومعَ أنَّه عاش حياةً قاسيةً وضُيّق عليه في معاشه إلاَّ أنَّه ما انفكَّ عن أخلاقه، فكان لا يحطُّ عن عاتِقه عصا التَّرحال ليجود على أبناء قومه بالعطاء؛ فيُغيثُ ملهُوفهم، ويُكْسِبُ معْدُومهم، ويُعْلِي عزائمهم، ويحفظ حُرمتهم، ويعفُو عن هفواتهم.

الهِجاء:

كان الأحنفُ هجَّاءً، وأكثرُ ما جاء في شعره هجاء المُدن نتيجةً للحرمان الذي لحِقهُ فيها، ومع مرور الأيام تردَّت أوضاعه فخرج منها صاغرًا، أمَّا هجاؤه للأشخاص فكان قليلًا في شعره، وأحيانًا لا يجد من يهجوه فيهجو نفسه فيقول:

سُــــؤْدَدِي سُــــخفٌ ومُكْتَسَــــبي بِمَخَــــــارِيقٍ ومُضْــــــطَرَبِ[1]

ونــــــوالي غيْــــرُ مُنْتَظَــــرٍ كيْـفَ يُرْجـى النَّيْـلُ مـن عَطِـبِ؟[2]

(١) نظرات في ديوان الأحنف العُكبري، عبد العزيز المانع، مجلة العرب، ١٤٢٢هـ، ٢٦٢/٣٧.

(٢) العطب: الهالك. حاشية الدّيوان ١٠٦.

أَحْنَـــفِ الـــرِّجْلَيْنِ مُحْتَقَـــرٍ سَـاقِطٍ فـي النَّـاسِ ذِيْ ذَنَـبِ(١)

كان ينال من مهجوّه بأقذع العبارات ولا يجد حرجًا من وصفهم بالسَّفالة ويُشبّههم بما يشينهم؛ ولعلَّ أكثرَ طائفةً تعرَّضت لهجائه اللَّلاذع طائفة العُميان؛ وقد يكون السّرُ وراء هذه الكثرة شدَّة تشاؤمه منهم، فهم في نَظرِه بؤرة للشَّر والنَّكد، وربَّما يكون لأمرٍ نفسيٍّ يتعلقُ بفقده لبصره في مرحلةٍ متأخّرة من حياته، ففي هجائه لهم هجاءٌ لنفسه في الحقيقة والدّيوانُ ممتلئٌ بالنَّماذج في هجائهم، أمَّا النَّوع الثَّاني الذي كثُر هجاؤه فيه فهو هجاء المُدن، وله مع (عُكْبَرا) أهاجٍ كثيرة، فقد نسبَ إليها الشُّرور لشدَّة حنقِه عليها، فهي الَّتي أشْهَرت الفقر في وجهه، وكشَّرت عن أنيابها، وتنكَّرت لابْنِها وعقَّته، فما كان منه إلَّا أن هجاها في شعره.

الغزل:

أجاد الأحنف في هذا الغرض، وتميَّزت نصوص الغزل لديه بالعفَّة؛ فلم يتبذَّل في الوصف ولا في الألفاظ؛ لذا جاء غزلهُ رقيقًا مُحمَّلاً بلواعج الشَّوق والحنين، ينمُّ عن شخصيَّة مرهفة مُتودّدة للمحبوبة، وكثيرًا ما كان يبكي حظَّه إذا لم يظفر بوصلٍ ولا بلقاء، وفي قصيدته السَّاسانية جاءت المقدمة غزلية رقيقة تنبئُ عن امتلاكه لمهارةٍ فائقةٍ في تصوير مشاعر الحُبّ والهُيام بلفظٍ عذبٍ جذَّاب يقول فيها:

لقـــد هَـــاجَ لِـــيَ الوَجْـــدُ غَـــزَالٌ دَائِـــمُ الصَّـــدِّ(٢)

أَنِيْـــقُ الحُسْـــنِ ميَّـــاسٌ مَلِـــيْحُ الخَـــدِّ والقَـــدِّ(٣)

(١) الدّيوان، السَّابق.

(٢) نظرات في ديوان الأحنف العُكبري ٢٤٦/٣٧.

(٣) الدّيوان ١٥٨.

الوصف:

أجادَ الأحنفُ في هذا الغرض الشّعري أيَّما إجادةٍ فجاء وصفهُ بارعًا مُصوّرًا فيه أدقَّ التَّفاصيل؛ فوصف نفسه بأبلغ العبارات، ووصف وقائع يومه ومجتمعه الَّذي تفشَّى فيه الأوغاد، وأنزل على بعض أوصافه صورًا كاريكاتيريَّة مُضحكةٍ أحيانًا وبعضها يشي بالحزن الشَّديد.

لم يبتسم له الحظُّ إذ كانت له غرفةٌ لا تصلح للمعيشة ولا للحياة، فوصفها وصفًا دقيقًا في ستةٍ وخمسين بيتًا، فهي غرفة مليئة بالعقارب والحيَّات والضَّفادع، حتى إنَّ القائم فيها يُطأطئ برأسه إذا ما رام وقوفًا، أمَّا حيطانها فتهتزُّ كلَّما تحرَّك أحدٌ فيها، وإن دخلها الدَّاخل فلا يسمع الدَّاعي خارجها، وأمامها نهرٌ يختلط بالأذى لا تهبُّ نسائمه إلَّا بالرَّوائح المُنتنة فيقول فيها:

سَهِرْتُ وما مِثْلِي يَنَامُ ويَرْقُدُ وفي القَلْبِ مِنِّي جَمْرةٌ تَتَوَقَّدُ

سَهِرْتُ ولَمْ أطْعَمْ من الغَمْضِ وكَيْفَ هُجُوعي والحَشَا ليس

وذَاكَ لأنِّي سَاكِنٌ في غُرَيْفَةٍ وأُفْرِدْتُ فيها والغَرِيْبُ يُفَرَّدُ

مُطَبَّقَةٌ كَالسِّجْنِ بَلْ هُوْ دُوْنَها مَعَايِبُها في كُلِّ يَومٍ تَزَيَّدُ(١)

الشَّكوى:

الأحنف شاعرٌ شكَّاء لكنَّ شكواهُ لم تكن تضجُّرًا واعتداءً على القدر بِقدْر ما كان يَهْدفُ منها إيصال صوته لعلَّ من يرقُّ لشكواه، فحينما ضاقت به الأرض رفع عقيرتهُ وشكا الظُّلم وتردّي الأحوال، وشكا قلَّة المال واحتكار طائفةٍ من النَّاس له، بينما الطائفةُ الأخْرى تعيشُ تحت خطّ الفقر، شكا من خيانة الأصدقاء في زمانه، والأمراض التي نهشت جسده حينما امتدَّ به الزَّمان،

(١) الدّيوان ١٩٥.

وشكا غربتهُ بين أهله وناسه، وجشع التُّجار من أصحاب السِّيادة في البلاد، ومن شكواهُ قوله:

عَضَّ الزَّمَانُ[١] على عُوْدِي عضَّ الثِّقَافِ[٢] ألاَنَ الحدَّ جَانِبُه

صَاحَبْتُ دَهْرِي بِفِكْرٍ ثَاقِبٍ وَعَنًى رَاقٍ إذا لَسَبَتْ[٣] قَلْبِي عَقَارِبُه

مشاركته أحداث عَصْره:

عاش الأحنفُ وحيدًا إلَّا أنَّ شِعْره جوَّابُ آفاق؛ لم يُهمل أحداث عصره بل واكبها وتألَّم لِمُصاب أهلها، تضايق من الاختلافات المذهبيَّة الَّتي ماجت بها البلاد واضطربت لابتعادها عن المعين الصافي الَّذي لو احتكمت إليه لسادت العالم قاطبة، وفي إحدى مقطوعاته نجده يُشْهِرُ قلمه وينتقدُ السَّاسة ويتمرَّد عليهم في عباراتٍ مُدَوِّية، فيقول في حق (المُطيع)[٤] (وبختيار)[٥]:

ولابنِ قُرَيعَة[٦] القاضِي حَدِيْثٌ تَصَفعَن[٧] وهو أبْرَدُ من

فهنا يتمرَّد على الأشخاص بأسمائهم ولا يجدُ غضاضة في ذلك لأنَّ السوء الذي لحق بالبلاد كان نتيجةً لعربدتهم، وعدم العناية بشؤون من وُلُّوا عليهم.

---

(١) عضَّه الزمان: أي اشّتد عليه، حاشية الدّيوان ١٠٣.

(٢) عضَّ الثقاف بأنابيب الرمح: لزمها ولزقه بها، السَّابق.

(٣) لسبت: لدغت، السَّابق.

(٤) المطيع لله: أبو القاسم الفضل بن المقتدر، ولد سنة٣٠١هـ، ت٣٦٤هـ، حاشية الدّيوان ٢٢٢.

(٥) بختيار: أبو منصور بختيار بن مُعزّ الدَّولة أحمد بن بُويه، ولي بعد أبيه وقُتل عام ٣٦٧هـ، السَّابق.

(٦) ابن قريعة القاضي: أبو بكر محمد البغدادي قاضي السدية، كان ملازمًا للوزير المُهلّبي في مجالس اللهو، ت٣٦٧هـ، السَّابق.

(٧) تصفعن: لم أجدها في المعاجم العربية، وقد تكون الكلمة عامية، السَّابق.

(٨) الدّيوان، السَّابق.

المبحث الأوَّل:

دوافعُ شعر التَّمرُّد عند الأحْنَف العُكْبَرِيّ

من الظَّواهر الأدبيَّة التي جاءت في شعر الأحْنَفِ العُكْبَري ظاهرة التَّمرُّد، وظهرت نتيجةً لما أصاب الحياة من تطوُّر سريعٍ ومفاجئ في شتى النَّواحي السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريَّة مما حدا بكثير من النَّاس إلى شقّ عصا الطاعة، والوقوف في وجه الطُّغيان الغاشم، وأصبح من السَّهل عليهم أن يقولوا: (لا) في وجه من يريدُ (نعم).

من جملة النَّاس ظهر الأحْنفُ ووقف في وجه من كانوا حجر عثْرةٍ في طريقه، وقف في وجه عاهته وفقره وعَمَاه، وقف في وجه الحاكم المُستبدّ، وقف في وجه الأنذال الَّذين امتلأ بهم عصره، وقف في وجه الظُّلم الذي أعلى شأن قومٍ وحطَّ آخرين، فهو لم يعتدْ أن يكون مع القطيع لذا رفع عقيرته بالشّعر، وليس هناك أسمى ولا أرقى من لغة الشّعر التي يفهمها القاصي والدَّاني، لغة تُوصل الأفكار في شطرين اثنين، فاستبدل ضعفه (حنفه) بقوته (شعره)، وراح يصدحُ كالبُلبل الغَرِدِ يمنةً ويَسْرة، فتارةً يُعرِّض، وتارةً يُصرّح بالأسماء بلا هوادةٍ فلم يعد هناك ما يُخيفه أو يقضَّ مضجعه، وقد (يتردَّد مصطلح التَّمرد بشيء من النُفور؛ لأنَّه قد يبدو في ظاهره شيئًا سلبيًّا رغم أنَّه يتَّصف بالإيجابية العميقة لكشفه عن عناصر كامنة في الإنسان تتطلّبُ الدّفاع عنها والحفاظ عليها)[1]، وقبل الخوض في التَّمرد ودوافعه، علينا أن نُعرِّج على ماهيَّة التَّمرد كما وردت في معاجمنا العربية.

(١) التَّمرد في شعر العصر العباسي الأول، فيصل غوادره، دار جُهينة، عمَّان، ط: ١، ١٤٢٥هـ، ١٣.

التَّمرد في معاجم اللُّغة:

جاء في مختار الصِّحاح للرَّازي في مادة (مرد) ما نصُّه:

(و"المُرُودُ" على الشيء: المُرون عليه، و"المَارِد": العاتي، و"المِرِّيد": الشديد المَرَادة)[١].

أمَّا في لسان العرب:

(مرد: المارِدُ: العاتي، مَرُدَ على الأمر بالضَّم، يَمْرُدُ مُرُودًا ومَرادةً، فهو ماردٌ ومَريدٌ، وتمَرَّدَ: أقْبَلَ وعتا، ومَرَدَ على الشَّرِّ وتمرَّد أي: عتا وطغى)[٢].

ولهذا تتَّفق المعاني على أنَّ التَّمرد هو:

(البلوغ إلى غايةٍ لا تُماثل الحدَّ الطَّبيعي للشيء، وهو المجاوزة للحدّ المعقول، وهو التَّطاول، وهو معاملة الشيء حتَّى يخرج عن حدِ طبيعته كما يُماث الطَّعام حتَّى يلين، وهو إخضاعُ الأمر للوضع الجديد الَّذي يريده المتمرِّد)[٣]، ومهما يكن من أمر فإنَّ التَّمرد غيرُ مرغوب فيه على إطلاقه، بل لا بدَّ من قوانين وحدود تضبطه وإلاَّ لغدا المجتمعُ ثائرًا لا يلوي على شيء، ولا يحتكمُ لأيةِ قانون، فالكيّس الفَطِنْ يعرفُ متى يقول (لا) وما دوافعها، وعند النَّظر في ديوان الأحْنَف بشيءٍ من التَّأمل نجد أنَّ وراء تمرُّده جملةً من الأسباب والدَّوافع سنوردُها تباعًا مستدلّين بآثاره الشّعريَّة.

ودوافع التَّمرد عنده على ضربين هما:

١-دوافع ذاتية:

تنبُع من ذاته الشَّاعرة الَّتي وقع عليها الظُّلم، وجاءت على النحو الآتي:

الحَنف-العمى-الفقر-الوحدة والانفراد-التَّشاؤم وشعوره بالنَّقص والدُّونيَّة-

(١) مختار الصِّحاح مادة: مرد.

(٢) لسان العرب مادة: مرد.

(٣) التَّمرد في شعر العصر العباسي الأول، فيصل غوادره، ١٤.

الغربة والاغتراب–تجربته المريرة مع الزَّواج وحظُّه العاثر.

٢–دوافع غيريَّة:

وهي الَّتي لم يكن له يدٌ فيها بل ظروف حياته جعلته يتعثَّر بها، وأثَّرت عليه أيَّما تأثير، وغلبت نبرة الحزن والأسى في أشعاره جرَّائها، وجاءت على النحو الآتي:

تنكُّر القبيلة له–السّياسة الجائرة–التَّفاوت الطَّبقي واختلال الموازين–ارتكاس القيم الأخلاقية وانتكاس الأعراف الاجتماعية–الوافد الأجنبي والتهامه لخيرات البلاد.

أولًا: الدَّوافع الذَّاتيَّة لتمرُّد الأحْنَف العُكْبَرِيّ:

أولًا: الحَنَف:

لُقّب بالأحنف نتيجةً لهذا العيب الخُلقي الذي وُلد به، وعاقهُ عن تبؤُّءِ المناصب الرَّفيعة، وعابهُ النَّاس والجُلاَّس لأجله وكأنَّه اختارهُ لنفسه، بل إنَّ بعضهم تشاءم من صحبته لئلَّا يلحقهُ شُؤم هذه العاهة، ونسُوا أو تناسوا أنَّه إنسانٌ يمتلكُ قلبًا كقلوبهم ومشاعرَ كمشاعرهم، ففَاتهم أن يأخذوا بيده ويتقاسموا الحياة معه بحُلوها ومُرّها، فعاش في كدرٍ وضيقٍ لتخلّي النَّاس عنه وهجرهم له، فصار رهينًا لحنفِه الَّذي جعله مُسوّغًا من مُسوّغات التَّكدّي، فكل الطُّرق والأبواب سُدَّت في وجهه، يقول في إحدى قصائده:

أَمَـا دَليـلٌ إلـى أَرْضٍ بهـا كَـرَمٌ أَوْ عِنْـدَ سُـكَّانها للحُـرِّ مُرْتَفَـق

أَو السَّـلامة مـن فُحْـشٍ ومـن أَيْـنَ الطَّرِيـقُ إليهـا، سُـدَّتِ

حتى وإن كانت له همَّة متوقّدة تتوقُ لقطع المفاوز إلَّا أنَّ حنفه يقف حجر عثرة في طريقه، فهو يعيشُ في مجتمعٍ ينظر إلى عرجتهِ شزرًا بكلّ استخفافٍ

(١) الدّيوان ٣٨١.

ومهانة، إن تحدَّث في مجلسٍ لم يُسمع له، وإن جاء خاطبًا رُدَّ ولم يُجب طلبه؛ لأنَّ الصَّدارة للأغنياء، بينما هو وأترابه لهم الذَّنب، ونراه في كلّ مرَّة يذكّرهم بأنَّه لم يختر عرجته بل قدَّرها الله عليه، يقولُ في هذا الشَّأن:

أُعَـابُ عَلَـى اعوِجَـاجِ الرِّجـلِ ولَـيْسَ العَيْـبُ فيهـا عَيْـبَ فِعْلِـي

ولَـو أَنِّـي قَـدَرْتُ لَصُـغتُ رِجْلِـي كَأَحْسَـنِ صُـوْرَةٍ وأصـحِّ رِجْـلِ

فـإن تَكُـنِ الطَّبِيعَـةُ ضَـايَقَتْنِي فقَـد أَزْرَتْ عَلَـى مَـن كَـانَ

فكثيرًا ما كان يُسلّي نفسه بأسلوبٍ مُتهكّم يخفّف عنه بعضًا من المعاناة، فينظر للمِحَنِ لعلَّه يجد في طيَّاتها مِنَحًا ويُقنع نفسه بأنَّ حنفه وإن جرَّ عليه بعضًا من الحِرمان إلاَّ أنَّ له منافع جمَّة، فهو يلُمُّ شمله، ويُؤمّنه من الحسناوات فلا يَفْتِنَّه ولا يُفْتَنُ بهنَّ، كما أنَّه يُبعده عن الحسد، فمن يحسدُ أحنفًا؟!، ولو أنَّ الأمر اقتصر على الحنف لهان عليه، لكن إلى جانب حنفه كان ضريرًا، كبيرًا، وحيدًا، وَجِعًا، غريبًا، فقيرًا، وكأنَّ الابتلاءات صُبَّت عليه صبًّا وحُقَّ له التَّمرُّد حيالها؛ فمن يصبر على هذه الابتلاءات مُجتمعة؟! وفي نموذج شعريّ يُشبّهُ لنا مِشْيَتَهُ التي تُحاكي الضّباع إذا طُرِدت وفي هذا استياءٌ مُغلَّفٌ بموجة تمرُّدٍ على حنفه الَّذي سبَّب له ضيقًا وحرجًا فيقول:

وَأَشـــدُّ ذَلِـــكَ كُلِّـــه حَنَـــفٌ يَنْفِـــي السُّـــرُوْرَ ويُـــوْهِنُ الزَّنْـــدا

فـإذَا مَشَـيْتُ حَكَيْـتُ فـي ظَلَعـي[٢] مَشْـــي الحُضَـــاجرِ[٣] خَافَـــتِ

ومن استيائه وقوع عرجته حائلًا بينه وبين رزقه، وَمَعَ حنفه إلَّا أنَّه أحسنُ من مئاتِ الأصِحَّاء في مجتمعه؛ إذ كانوا أشْبَاه رجالٍ تواطؤوا على الخيانة، ولم

(١) الدّيوان ٤٥٩.

(٢) الضلع: الاعوجاج، مشية فيها ميل، حاشية الدّيوان ٢١٤.

(٣) الحضاجر: اسم للذكر والأنثى من الضِّباع، سميت بذلك لسعة بطنها وعظمه، السَّابق.

(٤) الدّيوان، السَّابق.

يكن لهم رادعٌ يردعهم من دينٍ ولا أدبٍ، بل ماتت الأمانة عندهم، فلم يعد لهم من الدِّين وشعائره إلَّا الأسماء؛ يصومُون ويصلُّون كما اعتادوا لكنَّهم بمنأىً عن الأخلاق والآداب فيصف حالهم قائلًا:

أَقُــوْلُ لمُنْكِــرٍ يَغْتَــاظُ مِمَّــا ... يَـرَى مـن ضَـعْفِ أركـانِ الزَّمانـه

تَأَمَّــلْ فــي الحَقِيْقَــةِ كُــلَّ حَــيٍّ ... بِعَـيْنِ الحَـقِّ لا عَـيْنِ المَجَانـه[1]

وَدَقِّــقْ إنْ فَطَنْــتَ تَــرى رِجَــالاً ... تَوَاصَــوا بالخِيَانَــةِ والمَهَانَــه

فَــلا أدَبٌ ولا دِيْــنٌ وخَــوْفٌ ... ولا فِــيْهِمْ لمــؤتَمِنٍ أَمَانَــه

فَـإِنْ صَـامُوا وَصَـلُّوا فَهْـوَ شَـيءٌ ... علـى العَـادَاتِ لا حـقُّ الدِّيانـه[2]

ثانيًا: العَمى:

هذه البلوى الثَّانية التي ابتُلي بها الأحنف، وبمطالعة ديوانه نجده عَمِيَ في سنٍّ متأخرة بدليل قلَّة الشَّواهد التي ورد فيها العمى؛ لذا خفَّ المُصاب عليه بخلاف الحنف الذي وُلد به، ولا شكَّ أنَّ العمى أشدُّ بلاءً من الحنف، وإلاَّ لما رتَّب الله للصَّابر عليه مكافأة عظيمة؛ دخول الجنَّة شريطة أن يصبر، فقد بوَّب (البخاري) في صحيحه بابًا أسماه (فضل من ذهب بصره)، قال فيه أنس بن مالك: سمعت النبي

-ﷺ- يقول: «إنَّ الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر، عوضته منهما الجنة»، يريد: عينيه[3]، فالعمى هو أن لا ترى الحياة على الإطلاق، فالله كريمٌ رحيمٌ لم يجمع عليه بلاءين معًا، فتأخرت البليَّة الثَّانية وكانت أخفّ شأنًا من سابقتها، يقول حينما عَمِي:

(١) المجانة: أن لا يبالي الإنسان ما صنع وما قيل له، حاشية الدّيوان ٥١٤.

(٢) الدِّيوان، السَّابق.

(٣) صحيح البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم -بيروت، ط:١، ١٤٠١هـ، ٥/٢١٤٠.

اسْـــمَعُوا مِنِّـــي ولاَ حَـــرَجُ إِنَّنـــي أعْمَـــى وبـــي عَـــرَجُ
وَمَـــرِيْضُ الجِسْـــمِ مِـــنْ سَـــقَمٍ وَبِـــهِ قَـــد تَتْلَـــفُ المُهَـــجُ
فَـــأَرَانِي فِـــيَّ قَـــدْ نَزَلَـــتْ بِكَمَـــالٍ آيـــةُ الحَـــرَجِ[١]

يشير هنا إلى الابتلاءات التي أصابته وهي: العرج، العمى، المرض الذي أضنى جسده، وقضى على نضارته؛ مما جعله يتمرَّدُ قائلًا: إنَّ آية الحرج نزلت في شأنه لاجتماعها فيه.

عانى الأحنف في حياته ما عانى؛ فحينما كُفَّت عينيه لم يعد هناك شيءٌ جميلٌ ينتظره فاسودَّت الدُّنيا في نظره وأصبح ينتظر الموت، نعم الموت الذي لو خُيّر بينه وبين العمى لاختاره عليه، كيف لا وقد كان ناقمًا على العُميان في حياته أشدّ النَّقم؛ تشاءَم من وجودهم لكنَّه بتقادم العُمر صار واحدًا منهم، فاجتمع عليه الحنف والعمى فخفتَتِ الدَّهشة من حياته، كيف والعمى في نظره موتٌ محقَّق يقول في شأنه:

إن كُـــفَّ شـــيخٌ فقـــد تُـــوُفِّي وفـــاتَ مـــن مَوْتِـــه حَيَاتُـــهْ
أيُّ حَيَـــــاةٍ لِمُسْـــــتَغِيْثٍ شِـــفَاءُ أَسْـــقَامِه وَفَاتُـــه؟!
صِـــفَاتُه كُـــنَّ مُسْـــعِدَاتٍ فَصَـــارَ أَعْـــدَاءهُ صِـــفَاتُه
والمَـــوْتُ قـــينٌ[٢] لـــه أداةٌ حُضُـــوْرُ آجالِنـــا أَدَاتُـــه
ولِلْمَنَايـــــا مُقَـــــدِّمَاتٌ يَكُـــوْنُ فـــي جَمْعهـــا شَـــتَاتُه[٣]

وفي مقطوعة أخرى تفيض مرارةً وحزنًا يصف فيها شعوره بعد فقد بصره

(١) الدّيوان ١٤٨.
(٢) القين: الحدَّاد أو الصانع، حاشية الدّيوان ١٣٩.
(٣) الدِّيوان، السَّابق.

فيقول:

لَمّـــا أُصِـــبْتُ بِنَـــاظِرِيْ ... يَ أُصِـــبْتُ بـــالخَطَرِ الكَبِيْـــرِ

أصْـــبَحْتُ حَيًّـــا مِثْـــلَ مَيْـــ ... ـــتٍ أَوْ كَمَقْبُـــوْرٍ أَسِـــيْرِ

كَـــانَ العَزِيْـــزُ يَخَـــافُنِي ... فـــاليوْمَ أَخْضَـــعُ للحَقِيْـــرِ

كَيْـــفَ العَـــزَاءُ إذا سَمِعْـــ ... ـــتُ: تَنَـــاولُوا بِيَـــدِ الضَّـــرِيْرِ؟![1]

كل هذا الحزن كان مغمورًا في قلبه لتبدُّل الأحوال عليه، فبعد أن كان عزيزًا في قومه أجبرته الحياة بظروفها القاسية أن يتنزَّل إلى الحقير، وهذا التنزُّل على خِسَّته ودناءته لا يُعادل في الألم والحسرة قول أحدهم: تناولوا بيد الضَّرير الذي أصبح عاجزًا عن القيام بشؤون نفسه، فكيف بغيره؟!.

ثالثًا: الفقر:

وهو من أهمّ الدَّوافع التي قادته للتَّمرد فأقام بين مِطْرقته وسندانه ردحًا من الزَّمن، لا ينفك عنه بحالٍ من الأحوال فيقول:

لله مَـــا أَنَـــا فِيـــه فَقْـــرٌ لاَزِمٌ ... وصَـــبَابَةٌ تُـــوْهِي الصَّـــفا الصَّـــلْدَا

وَمَعِيْشَـــةٌ بـــالحُزْفِ قـــد قُرِنَـــتْ ... أدْعُـــو إليْهـــا مَعْشـــرًا نُكـــدَا

فَـــإِذا دَعَـــوْتُهُم مَشَـــوا هُـــزُؤًا ... مَشْـــيَ النَّعـــامِ أُخِيْـــفَ فاجْتَلَـــدَا[2]

فلفقره امتهن التَّكدي زمانًا ولم يقنع بفعلته تلك لكنَّ الفقر لا يرحمُ أحدًا، وقد فُرضت عليه هذه المهنة الَّتي أذهبت بوقاره وقضت على ماء وجهه، فتكالبت عليه المصائب واحدة بعد الأخرى، لكنَّ مصيبته بالفقر كانت هي القاضيَّة، ومن أشدّ المشاعر أسىً ما كان يشعر به في يوم العيد إذ الفرحة فيه

(١) الدّيوان، ٢٨٢.

(٢) الدّيوان ٢١٣.

قد انحصرت على المياسير؛ يبتهجون لمقدمه، ويلبسون أجمل الحُلل، بينما هو مصاحبٌ للفقر يعرفه ولا ينفك عنه، وإن أقبل العيد أقبل بهمّه وغمّه وأحاطا به إحاطة الجِنّ بالدُّور فيقول في ذلك:

قَـالُوا: أَتَـى العِيْـدُ، قُلْـتُ: العِيْـدُ غَـمُّ الفَقِيْـرِ وتَفْـرِيْحُ المَيَاسِـيْرِ

يَغْـدُو الغَنِـيُّ غَـدَاةَ العِيْـدِ فـي وَذُو الخَصَاصـةِ فـي هَـمٍّ وتَقْتِيْـرِ

قَـالُوا: فَأَنْـتَ، فَقُلْـتُ: الفَقْـرُ لـي والحُـرْفُ صَـاحِبُ دِيْـوَاني وتَـذْبِيْرِي

تَـوَطَّن الفَقْـرُ فـي قَعْبِـي[1] تَـوَطُّنَ الجِنّ جِنّ الـدُّوْرِ فـي الـدُّوْرِ

أَلِفْـتُ فَقْـري فَحَتَّـى لـو تَجَنَّبنـي فَغُصْـتُ فـي البِئْـرِ لَـمْ يَعْـدِل عـن

فهو لم يكره الفقر إلَّا لأنَّه أذلَّه وجعله يطلبُ مُستجديًا من حوله، فتارةً يعطونه وتارةً يمنعونه فينقلبُ صاغرًا من عندهم يجرُّ أذيال الخيبة، وباب بيته لا يطرقهُ إلَّا أصحاب الحاجات أمَّا الكرام المُوسرون فلا يعرفونه، بل اعتاد أن تزورهُ العقارب والحيَّات والضَّفادع والبراغيث، وكان يجد منها ما يجد من الضّيق والأذى حتَّى قال فيها:

ولَيْـلٍ بِـتُّ أَقْطَعُـه طَوِيْـلٌ كَلَيْـلِ الصَّـبِّ عُـذِّبَ بالصُّـدُوْدِ

وَقَـدْ مَـدَّ الظَّـلامُ بجَانِبيـهِ وَحَـرَّفَ عـن مُطَالَعَـةِ السُّـعُوْدِ

تَنَـاوَلَنِي بَرَاغِيْـثٌ تَعَـادَوا عَلَـى جَسَـدي كَأَمْثَـالِ القُـرُودِ[2]

أمَّا عن أكله فقد كان من الدُّخن وخبز الثَّريد الَّذي أصاب جسدهُ بالأذى، ومعَ هذا كانت الفئران تشاركه فيه، أمَّا الثياب فلم يكن له إلَّا ثوب واحد تكايده الغيوم حينما يهمُّ بغسله فيموت من شدَّة البرد، ولفقره كان ((يرى أن العنكبوت

(١) القعب: القدح الضخم، حاشية الدّيوان ٢٦٤.

(٢) الدّيوان، السَّابق.

(٣) الدّيوان ١٨٧.

والخنفساء خيرًا منه؛ لأن لكل واحدة منهما بيتًا تأوي إليه، في حين حُرم هو من هذا الطُّموح))[1]، يقول:

العنكبوت بَنَتْ بيتًا على وَهَنٍ تأوي إليه وما لي مثله وَطَنُ

والخنفساء لها مِنْ جِنْسِها ولـيس لي مثلها إلفٌ ولا

((وبسبب ذلك الفقر الشَّديد، يضطر الشَّاعر إلى أن يظلَّ دائم التَّجوال يحتالُ على النَّاس باصطناع المخاريق، فليس له بيت يأوي إليه، وليس له إلفٌ ولا زوجة –سكن–يُريح جسمه عندها))[3]، يقول:

قد قسَّم الله رزقي في البلاد يكادُ يدرك إلاَّ بالتَّفاريق

ولست مكتسبًا رزقًا بفلسفةٍ ولا بشعرٍ ولكن بالمخاريقِ

والناسُ قد علموا أنِّي أخو فلستُ أنفقُ إلاَّ في الرَّساتيق[4]

لم يُبْقِ الفقر من جسدهِ إلَّا خيالاً أو شبحًا وكأنَّ الفقر شفَّه إلى أن أصابه الهُزال فيقول:

دَبَّ البِلَى فيهِ وَهْوَ حَيٌّ فَما عَلَى الأرْضِ مِنْهُ شَيُ

إلاَّ خيالاً إذا تمشَّى أو شَبَحٌ في القَمِيْصِ حَيُ

طَوَتْهُ أَيَّامُه الخَوَالي فما لَهُ في الشُّمْوسِ فَيُ[5]

وعلى شدَّة فقره إلَّا أنَّه اجتهد في حياته اجتهادًا بالغًا علَّهُ يظفرُ بحياةٍ

(١) قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السلطة، ياسين عايش خليل، دار المسيرة، ط: ١، ١٤٣٢هـ، ١٦٩.

(٢) الدّيوان ٥٤٣.

(٣) قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السُلطة ١٦٩.

(٤) الدّيوان ٥٤٣.

(٥) الدّيوان ٥٣٥.

كريمة إلَّا أنَّ حظَّه لم يحالفه، فبدأ الشَّيب يغزو رأسه، والمرض ينهش جسده، عندها تيقَّن أنَّ حياته لن تتعافى فالشَّيب نذير شُؤم له، لم يزده وقارًا وإنَّما أفضى به إلى التَّمرد، فراح يتحسَّر على شبابه الَّذي أفناه ذاكرًا جملة من الأمور التي أقضَّت مضجعه، فأحاطت به الهموم إحاطة السّوار بالمِعْصم ما بين كبر سنٍّ واغتراب وفقر هذا مع ما كان فيه من الحنف، فأُطبق الشَّقاء عليه، وعُمّر حتى نُثرت أسنانه، وابيضَّ أسودُه فقادته الرَّزايا للتَّمرُّد بلا هوادة، إذ لا شيء كان يخيفهُ أكثر من أن يملَّه الأقربون فيغدو طريدًا تضيق به المسالك وقد كان؛ اسمع إليه وهو يفصّل حاله بين مُعاشريه فيقول:

إذا أَمْسَكَ الشيخُ العَصَا بِيَمِيْنِهِ فَكَبِّرْ عليهِ أَرْبَعًا فَهْوَ هَالِكُ

يَمَلُّ ثَوَاهُ الأَقْرَبُوْنَ وَيغْتَدِي طَرِيْدًا وَقَدْ ضَاقَتْ عليهِ

يَهُوْنُ على أَهْلِيْهِ بَعْدَ كَرَامَةٍ زَمَانَ الصِّبَا والرَّأْسُ أَسْوَدُ

ولا سِيّما إن كُفَّ أو كَانَ أَحْنَفَا تَلْقَّاهُ قَبْلَ المَوْتِ بالنَّارِ مَالِكُ(١)

رابعًا: الوحدة والانفراد:

كُتب الشَّقاء على الأحنف ابتداءً من حنفه فلم تبتسم له الحياة، بل زادته همًّا فوق هم، ولم يعد هناك ما يدعوه إلى التَّفاؤل، فتوالت عليه الصَّفعات الواحدة تلو الأخرى، لكن أن يكون وحيدًا لا أنيس له ولا قريبٍ يخفّف عنه مرارة الفقد ولوعة الحرمان! هذه لم يُطقها؛ لذا صوَّر وحدته بصورٍ عديدةٍ مُتعايشًا معها تارة، ومتمرّدًا عليها تارةً أخرى إلى أن وافته المنيَّة، وعندما رأى أنَّ حياته لن تطيب قرَّر الوحدة على نفسه وراح يُقْنع بها من حوله فقال حول هذا المعنى:

(١) الدّيوان ٤٠١.

دَهْـــرٌ رَمَتْنـــي بِرَيْبِـــهِ رِيَبُـــه ... مـا تَنْقَضـي مـن خُطُوبـهِ خُطَبُـه
مَـا سَـبَبٌ مِـنْ صُـرُوْفِهِ عَجَـبٌ ... إلاّ اجْتِمَـــاعٌ لأَهْلِـــهِ سَـــبَبُه
يـا طِيْـبَ عَـيْشِ الوَحِيْـدِ مُنْفَـرِدًا ... لِنَفْسِـــهِ هَمُّـــهُ ومُكْتَسَـــبُه
كَـــمْ ثَعْلَـــبٍ لا يَفُوْتُـــهُ طَلَـــبٌ ... أَثْقَلَـــهُ عِنْـــدَ عَـــدْوِهِ ذَنَبُـــه
وكَـــمْ بَعِيْـــرٍ عَـــوْدٍ[1] لَـــهُ جَلَـــدٌ ... أَوْهَنَـــهُ فـــي قِيَامِـــه قَتَبُـــه[2]

وحينما تعرَّض لعتاب معاصريه بشأن وحدته بسط أسباب لجوئه للوحدة؛ منها عدم الظَّفر بالأصدقاء فكلّ من حوله بُخلاء يتربصون به الدَّوائر، فانكفأ على ذاته؛ ولأنَّ الموت غيَّب أصحابه الَّذين لن يأتي الزَّمان بخلفٍ لهم، وفي نموذج آخر يرى أنَّه لو وُفّق الواحد أن يكون وحيدًا في الحياة فليفعل؛ لأنَّ العداوة منشؤها النَّاس ومعرفتهم فيقول:

فـإن وُفِّقْـتَ كُـنْ فَـرْدًا وَحِيْـدًا ... فَمَـا عـاداك إلاَّ مَـنْ عَرَفْتَـا[3]

وقد أخطأ النُّجعة، واشتطَّ قليلًا حينما حلُم بالوحدة في وفاته، فتمنَّى أن يظلَّ قبره في منأىً عن النَّاس، بل طلب أن يكتبوا على شاهد قبره مقولته الخالدة:

يَـا غَرِيبًـا قَـدْ عَـاش مـا عَـاشَ ... وخَلِيًّـــا مـــن زَوْجـــةٍ وَبَنَـــاتِ
وَكَـذَا قـد دُفِنْـتُ فـي الأَرْضِ نَفْيًـا ... مُفْـــرَدًا مـــن مَقَـــابِرِ الأَمْـــوَاتِ
فَلَـــكَ اللهُ رَاحِمًـــا وَوَلِيًّـــا ... غَـــافِرًا للـــذُّنُوبِ والســـيئاتِ[4]

عاش وحيدًا مُتمرّدًا على العلاقات الاجتماعية، وشقَّ لحياته طريقًا رأى

(١) العَوْد: الجمل المُسِنّ، حاشية الدّيوان ٩٤.
(٢) قتب: القِتْبُ والقَتَبُ: إِكافُ الْبَعِيرِ، وَفِي الصِّحَاحِ: رَحْلٌ صغيرٌ عَلَى قَدْر السَّنام. لسان العرب.
(٣) الدّيوان ١٣٨.
(٤) الدّيوان ١٤٢.

السَّلامة فيه أن يتحرَّرَ من قيودها فآثر العُزلة؛ لأنَّ الحياة لم تُعطه ما كان يطمح إليه من مالٍ وغنى، وماذا عساها أن تُفيد العلاقات الاجتماعية إن عُدمَ المال؟! يقول حول هذا:

قـالوا نَـرَاكَ بـلا أَهْـلٍ ولا وَلَـدِ ولا نـــراك تُحِـــبُّ الجَمْـــعَ والعَـــدَدا

فَقُلْـتُ قَـوْلَ امْـرِئٍ مُسْتَبْصِـرٍ قَـــدْ رَاضَـــه الـــدَّهْرُ حتَّـــى كَـــاسَ

مَـاذَا أَضَـافَ إلـيَّ الـدَّهْرُ مـن حتَّـى يُضِـيْفَ إلـيَّ الأَهْـلَ والوَلَـدا؟!(٣)

لم يقتصر بالوحدة على نفسه بل راح يُذيعها بين النَّاس ووصل الأمرُ به أن يُحرّمَ على نفسه الاستئناس بهم قائلًا:

يَـا مُلْبِسـي ذَنْـبَ السُّـلُوِّ ولـم أَخُـنْ لَكِـنْ وثِقْـتُ بِحُرْمَـةِ الإِيْنَـاسِ(٤)

ورأى أن الوحوش والنَّسانيس أشدُّ وفاءً من بني البشر الَّذين طغت عليهم الخيانة والغدر فيقول:

واحْـــذَرْ بنـــي آدَمَ وَأْنَـــسْ إِلَـــى مَـــنْ شِـــئْتَ مـــن وَحْـــشٍ

وقد خالطَ أهل زمانه وخبر معادنهم فعرف أنَّ من ضحك في وجهه لا يكون صادقًا في ودِّه، وبالفعل ضاقت عليه الأرض وضيَّق على نفسه معَ أنَّه لم يجد ملجأً إلَّا إليها؛ فشكا لها وتقاسم معها الهموم فكانت أشدُّ حنانًا له.

خامسًا: التشاؤم وشعوره بالنَّقص والدُّونيَّة:

عاش الأحنفُ متشائمًا للدَّرجة الَّتي كان يرى القِردَ أحسنُ حالاً منه فيقول:

(١) كاس: ذل وخضع، حاشية الدّيوان ١٦٣.
(٢) التَّلد: المال القديم، السَّابق.
(٣) الدّيوان، السَّابق.
(٤) الدّيوان ٢٩٢.
(٥) السَّابق.

إنّــي تفكَّــرتُ فــي حُرْفــي عَلَــى وكُــلُّ شَــيءٍ لَــهُ عِلْــمٌ وتَسْــبِيْبُ[1]
وَجَدْتُ حَظِّي من الدُّنيا وَزِيْنَتِها وكُــلُّ شَــيْءٍ فَمَكْتُــوبٌ وَمَحْسُــوْبُ
أقــلَّ مــن حَــظِّ قِــرْدٍ فــي وَقَاحَتِــه والقِــرْدُ ذُوْ ذَنــبٍ والقِــرْدُ مَقْبُــوْبُ[2]

ومن تشاؤمه وتمرُّده ندَّد بوضاعة نسبه، وتعجَّب ممن يصفه زورًا بالعلم والأدب، فأيُّ مالٍ سيجنيه من وراء هذا الأدب؟! يقول:

واصِــــــفِي بــــــالعِلْم والأَدَبِ نَــــاطِقٌ بــــالزُّوْرِ والكَــــذِبِ
وَمُعِيْــــرٌ مَــــدْحَ ذِي شَــــرَفٍ عَــــنْ بَخِيْــــلٍ وَاهِــــنِ السَّــــبَبِ
أيُّهــا المُشْــتَفُّ[3] فــي نَسَــبي مِنْــكَ لا مِــنْ خِسَّــتي عَجَبــي
كُلَّمــا فَتَّشْــتَ عَــنْ نَسَــبي لَــمْ تَجِــدْ شــيئًا مــن النَّسَــبِ[4]

فقاموس السَّعادة والتَّفاؤل أُلغي من حياته ولم يبق له إلاَّ الأماني يعيش بها وعليها، إذ عاش في زمنٍ لم تعد همَّته كما عهدها إذ انحصرت على القوت والمنام؛ ظنًّا منه أن ما فاته في أوَّل شبابه لن يحصل عليه عند مشيبه وهذا لفرط تشاؤمه، يقول في هذا المعنى:

لَــيْسَ للشَّــيْخِ سِــوى القُــوْ تِ إِذَا مَــــا جَــــاء قُوْتُــــه
وَمَكَــــــانٍ يَتَــــــأَوَّا هُ ويُرْضِــــــيهِ مَبيْتُــــــه
يَتَجَــــارى النَّــــاسُ أَلْــــوا نًــــا ويَكْفِيــــه سُــــكُوتُه
كُــــلُّ مــــا يَلْتَــــذُّه الشْــــ ــــشُبَّانُ فــــي العَــــيْشِ يَفُوْتُــــه

(١) تسبيب: أي سبب، حاشية الدّيوان ١٠١.
(٢) مقبوب: أي ضامر، حاشية الدّيوان ١٠١.
(٣) المشتف: المستقصي، حاشية الدّيوان ١٠٦.
(٤) الدّيوان، السّابق.

وَالَّـــــذِي أَحْيَـــــاه حَتـــــى بَلَـــــغَ الشَّـــــيْبَ يُمِيْتُـــــه[١]

فلم يجد في حياته ما يثيرُ البهجة؛ لذا مارس الكُدية زمانًا لضعف جدِّه، ولتشاؤمه أصبح يلوم نفسه ويقنعُها بأن لا جدوى من تكدّيه طالما أنَّ النَّحس والشُّؤم لصيقان به قائلاً:

قَـدْ طَلَبْـتُ الغِنَـى بِكُـلِّ احْتِيَـالٍ واحتــرافٍ مــا بَــيْنَ شَــامٍ ونَجْــدِ
فَـــأَبَى اللهُ أن أكُـــوْنَ غَنِيًّـــا مـــا احْتِيَـــالِي والـــنَّحْسُ يَطْـــرُدُ
غَيْـرَ أَنِّـي لمَّـا احْتَرَفْـتُ فَلَـمْ أظْـ ـفَرْ بشــيءٍ وَضَــعْتُ للــدَّهْرِ خَــدِّي
هَـائِمٌ فـي القُـرى أُكَـدِّي وأَمْشِـي مَـنْ يرانــي يَقُــوْلُ هــذا مُسَــدِّي[٢]

ولفرط تشاؤمه إن زارته أحلام المنام فلا يتحقَّق منها جانب الخير، أمَّا جانب الشَّر فإنَّه يقعُ قبل أن يحينَ موعدُ الأذان؛ لأنَّ النَّحسُ يعرفُه ولا يفارقه، يقول مُتشائمًا:

وأعلــم فــي المنــام بِكُــلِّ خيــر فأُصْـــــبِح لا أراه ولا يرانـــــي
وإن أبصــرتُ شــرًّا فــي منــامي لَقِيْــتُ الشــرَّ مــن قبــل الأذان[٣]

أمَّا حاله في العيد فغير الحال الَّتي نعرف؛ فإن كان العيد يأتي بالسَّعد والأُنس على النَّاس فهو عنده خلاف ذلك؛ أتى أم لم يأت لا جديد معه، فراح هائمًا على وجهه يبحثُ عن مأوى ينتشلُهُ من الكآبة التي عاش فيها فيقول متشائمًا:

أَيْنَ الفِرارُ مـن الأَشْرارِ فـي زَمَـنٍ لــم يَبْــقَ لِلحُــرِّ فــي تَأْمِيْلِــه رَمَــقُ
أَمَــا دَلِيــلٌ إلــى أَرْضٍ بهــا كَــرَمٌ أَوْ عِنْــدَ سُــكَّانها للحُــرِّ مُرْتَفَــقُ؟!

---

(١) الدّيوان ١٤٢.
(٢) سُدى: مُهْمل، حاشية الدّيوان ١٨٠.
(٣) الدّيوان ٥٤٣.

أو السَّـلامة مـن فُحْـشٍ ومـن أَيْـنَ الطَّرِيـقُ إليهـا، سُـدَّتِ[1]

فما كانت النتيجة إلاَّ أن سُدَّت الطرقُ في وجهه وأنَّى له الفرج!

سادسًا: الغُربة والاغتراب:

عاش الأحنفُ غريبًا بين أهله لفقره، فقُدِّر عليه الشَّقاء وتواطأ القدر مع أفراد مجتمعه فعاملوهُ بقسوة؛ جفوهُ وأبعدوه وكأنَّ به جَرَبًا فهام على وجهه حَزنًا وآثر أن يبقى غريبًا عن كلّ أحد؛ لأنَّ الألم ابتزَّه، فراح يحدِّثنا عن غربته قائلاً:

أَلِفْـتُ التَّغَـرُّبَ والغُرْبَـه فَفِـي كُـلِّ يَـوْمٍ أَخَـا تُرْبـه

فَيَـوْمٌ مُقِـيمٌ علـى نِعْمَـةٍ ويَـوْمٌ مقـيمٌ علـى نَكْبـه

ومِمَّـا يُسَـكِّنُ وَجْـدَ الفَتَـى رَفِيْـقٌ تطيـبُ بـه الصُّـحْبَه[2]

لم يحصل الأحنف على هذا الرَّفيق، فعاش بلا أنيس، ولم تكن غربته بمحض إرادته بل تنكَّرت الحياة له وضيَّقت عليه الخناق، فخرج مهاجرًا في أرض الله، أمَّا قلبُه فمعلَّقٌ يَحِنُّ للأهل والدّيار إلَّا أنَّ السَّعي وراء لقمة العيش مطلبٌ شرعي، يقول في غُربته:

كَفَـى عَجَبًـا أَنِّـي مُقِـيْمٌ بِبَلْـدَةٍ وَقَلْبِـي بـأخرى مُسْـتَهَامٌ ومُلْهَـجُ

وَحَسْـبُكَ مـن ضُـرٍّ وبُـؤْسٍ بِمَـنْ غَرِيْبًـا فَرِيْـدًا مُفْلِسًـا وَهْـوَ

فمعَ أن حالته لا تسمح له بالاغتراب فهو: (أعرج –مفلس –وحيد – غريب)، أحاطت به الأضرار من كلّ جانب إلَّا أنَّه اغتربَ ليُحسّن أوضاعه، وفي غربته تحسَّر على قومٍ مضوا كان الوفاءُ لهم سجيةً والكرم ديدنهم لكنَّهم

(١) الدّيوان ٣٨١.
(٢) الدّيوان ١٢٣.
(٣) الدّيوان ١٤٧.

غُيِّبوا في ظلمات القبور، فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا المكارم والقِيم يقول في شأنهم:

كُنَّـــــا نَـــــذُمُّ زَمَانَنَـــــا وَنَـــــرى مَذَمَّتـــــه غَنِيْمَـــــه

ونَقُـــــوْلُ: يَـــــأْتي بَعْـــــدَ ذا زَمَـــــنٌ سَـــــجِيَّتُهُ سَـــــلِيمه

صِـــــرْنَا نَقُـــــوْلُ وقـــــد أَتَـــــى زَمَـــــنٌ نَوَائبُـــــهُ عَظِيْمـــــه:

يالَيْـــــتَ قَـــــدْ بَقـــــي الزَّمـــــانُ علـــــى سَـــــجِيَّته القَدِيْمـــــه[1]

ومن الدَّوافع التي الحَّت عليه بالاغتراب افتقاده للأمن والأمان في موطنه؛ فخرج متمرّدًا مُؤثرًا الغربة عليهم، فالغُربة الحقَّة عيشهُ بين أنذالٍ لا يهمُّهم شأْنُه؛ لذا لم يجد بُدًّا من مصادقة السَّنانير التي كانت أشدُّ وفاءً له من الإنسان المُتنكِّر لفاقته، يقول متمرّدًا على بني البشر:

أَكْرَمْـــــتُ سِـــــنَّوري وأَحْبَبتُـــــهُ مَخَافَـــــةَ الفَـــــأْرِ المَقَـــــاذيْرِ

فَعَـــــابَنِي قَـــــوْمٌ عَلَـــــى حُبِّـــــه كحُـــــبِّ ربَّـــــاتِ المَقَاصِـــــيْرِ

فَقُلْـــــتُ للعَائِـــــبِ فـــــي حُبِّـــــهِ قَـــــوْلَ عَلِـــــيْمٍ بالمَعَـــــاذِيْرِ:

قِلَّـــــةُ إِنْصَـــــافِ بَنِـــــي آدَمٍ علَّمَنـــــي حُـــــبَّ السَّـــــنَانِيرِ[2]

فقلَّة إنصاف النَّاس هي التي جعلت منه صديقًا ودودًا للسَّنانير!

سابعًا: تجربته المريرة في الزَّواج، وحظُّه العاثر:

من دوافع التَّمرد لديه افتقاده للسَّكن والاستقرار مع زوجه وأبنائه، وشعور الوحدة الذي سيطر عليه، معَ ما كان عليه من حنفٍ وفقرٍ وكبر سنٍّ كلُّها أمور جعلته يشعُر بالأسى والفقد الشَّديد، اسمع إليه وهو يروي قصَّته في شأن

(١) الدّيوان ٤٨٨.

(٢) الدّيوان ٢٨٢-٢٨٣.

فتاةٍ حسناء أحبَّها، وأرادها لنفسه، لكنَّها تمنَّعت عنه، يقول متمرّدًا على حظّه:

إذا هَـوِيَ الشَّـيْخُ الفَتَـاة فَقَـدْ خَطـا بِرِجْليــه مُخْتــارًا إلــى شَـرِّ مَطْلَـبِ

كمــا هَــوَ يَهْواهــا كــذلك حظُّهــا هَـوَى نَـافِعٍ عَـالِي المَنَاكِـبِ مُعْجَـبِ

وتــأبى مــن الأصْـحَابِ كُـلَّ مُخَيَّـبٍ كَسِـيْرِ الثَّنايـا أشـيبِ الـرأسِ أَحْـدَبِ

ومــا الشَّـيْخُ والحَسْـنَاءُ إلاَّ كقَـارِنٍ غَـزَالاً إلــى ذِيْ مَائِـل الشِّـقِّ أَجْـرَبِ

إذا وَفَــتِ الحَسْــنَاءُ للشَّــيْخِ فــي فعــن عِــوَضٍ لا حُــبِّ شَــوْقٍ[1]

فعزوبيتهُ رهن يديه متى ما أراد حلَّها انحلَّت، لكنَّه آثر أن يبقى عزبًا يعيش في ضيقٍ ومسغبةٍ خيرٌ له من أن يُرزقَ بابن عاقٍّ يُضيّق عليه حياته وهي لا تحتمل الضّيق على الإطلاق! يقول:

عَــــزِبٌ مفتاحُــــــه بِيَــــــدِهْ فَـتَّ صَـرْفُ الـدَّهْرِ فـي عَضُـدِه

....

مُفْــــرَدٌ لا يَسْــــتَرِيْحُ إِلَــــى مُــــؤْنِسٍ فــــي يَوْمِــــهِ وغَــــدِه

كَــمْ صَــرِيْعٍ بــاتَ فــي كَمَــدٍ قَـدْ شُـجِي بـالغَيْظِ مِـنْ وَلَـدِه[2]

ضاق ذرعًا بمحبوبته التي لا تبادله العِشق والهُيام فقال قولًا كلَّه شجىً وأسى:

الفَرْقَــدانِ[3] **كِلاَهُمــا شَــهِدا لَــهُ والبَــدْرُ لَيْلَــةَ تِمِّــه بسُــهَادِه**

دَنِـفٌ إذا اغْتَبَـقَ الظَّـلامُ تَضَـرَّمَتْ نــارُ الهَــوى فــي صَــدْرِهِ وفُــؤَادِه

(١) الدّيوان ١٠٦.

(٢) الدّيوان ١٨٢.

(٣) الفرقدان: كوكبان من كواكب بنات نعش الصغرى، حاشية الدّيوان ١٨٣.

فَجَـرَتْ مَـدَامِعُ جَفْنِـه فـي خـدِّه مِثْـلَ المَعِـيْنِ يَسِـيْلُ مِـنْ أَطْـوَادِه

شَـوْقًا إلـى مُضْـنِيه لَـمْ أَرَ هكـذا يَشْـتَاقُ مُضْـنَى جِسْـمِه بِبعَـادِه[١]

لم يجد أمامَه إلاَّ الدُّموعَ لإطفاء نار الشَّوق والحسرة، وفي كل محاولةٍ للوِصال لا يجد من محبوبته إلَّا الصَّدود والهُجران، فضاق بها أشدَّ الضيق قائلًا:

جَمَعْـتَ لِـيَ الأَيَّـامُ أَمْـرًا قـاتلاً بَـيْنَ الهَـوَى ومَـرَارةِ الهِجْـرَانِ[٢]

وابتسم له الحظُّ أخيرًا لكن مع زوجة حَوْلاء هو الذي شردَ منها هذه المرَّة، فقال مُتمرِّدًا:

جَـرِيٌّ[٣] سُـوْءٍ اسـمُهُ يَزِيْـدُ وحَـاكِمٌ فـي حُكْمِـه تَفْنِيـد

أَعْوانُـهُ بِبَابِـه قُعُـودُ بِـيْضٌ ومِـنْهُم آخَـرُوْنَ سُـوْدُ

حَـوْلاءُ فـي ناظِرهـا تَحْدِيـدُ[٤] كُتَّابُهـا فـي بَطْنِـه شُـهُوْدُ

مِـنْ دونِ هَـذَا شَـرَدَ الشَّـرِيْدُ[٥]

ثانيًا: الدَّوافع الخارجيَّة لتمرُّد الأحْنَف العُكْبريّ:

أولاً: تنكُّر القبيلة له:

عقَّت عُكْبرا بابنها الأحنف أيَّما عقوق؛ ففي الوقت الذي يأملُ أن تكون سندًا له بعد الله إذ بها تهوي به في مهاوي الرَّدى، فيضطرُّ للعيش بين أبناء اليهود هائمًا على وجهه يتخبَّط بلا دليلٍ لعلَّه يُمسك بطوق نجاةٍ وأنَّى له!

(١) الدّيوان ١٨٣.
(٢) الدّيوان ٥٢٥.
(٣) الجري: الوكيل والرسول، حاشية الدّيوان ١٧١.
(٤) تحديد: هكذا في الأصل والأنسب: تحيد، السَّابق.
(٥) الدّيوان ١٧١.

يقول:

أعاقَــبُ بــالبَلاَء وَضِــيْق رِزْق وَأُوْخَــذُ بــالنَّقِيّ مــن النُّقُــود

وأَصْــرِفُ كُــلَّ مُلْتَفِــتٍ بِغَــيْظٍ وَأَسْــكُنُ بــين أَبْنَــاءِ اليَهُــود[1]

شكا من تعامل أبناء القبيلة حينما يجيء طالبًا النَّوال فيعود صفرَ اليدين يجرُّ أذيال الخيبة، كيف لا وقد امتلأت قلوبهم حسدًا له، أمَّا إذا اطمأنُّوا على سلامة أوضاعه بادروه بالبشاشة؛ لأنَّها لا تُكلِّفهم الكثير بينما إعطاء المال يَثْقُلُ على نفوسهم التي جُبلت على الجشع وحبّ التَّملُّك فيقول:

إذا طَالَبْتَــــهُ جَــــدْواهُ أَلْــــوَى وكَيْــفَ يُنِيْلُــك الجَــدْوى الحَسُــوْدُ

يَلِــيْنُ إلــى السُّــرورِ ويَشــتهِيْهِ إذا مــا الخَيْــرُ أَبْصَــره جَديــدُ[2]

ومن تنكُّر القبيلة له هجره وعدم عيادته في أيام مرضه وضعفه، فيقول والحسرة تُفتّتُ فؤاده:

إنّــي اعتللــتُ فلـم أجـدْ لــيَ عائِـدًا مِــــنْ بَــــيْنِ معْرفــــةٍ ولاَ لَــــوَّاذِ

لا أَهْــلُ سَــامرًا رعَــوا لــي مــا عنــــد الشَّــــدائِد لا ولا بغــــدادِ[3]

ثانيًا: السّياسة الجائرة:

عاش الأحنف في زمن السّياسات الظالمة التي لا تهتمُّ إلاَّ برفاهيَّة عيشها، بينما الآخرون يعيشون كيفما

اتفقت لهم الحياة، يقول واصفًا السياسة في زمنه:

وتَقْطِيْــبُ بــوَّابٍ وإِعــرَاضُ حاجــبٍ وَذَاكَ وهَــذَا مــن أَذى غَلَباتهــا[4]

---

(١) الدّيوان ١٦٨.

(٢) الدّيوان ٢٠٧.

(٣) الدّيوان ٢١٦.

(٤) الدّيوان ١٣٤.

فالفقير كانت تُغلق الأبواب دونه فلا يستطيع مقابلة حاكمٍ أو مسؤول، فيعود كسيرًا ذليلاً إلَّا من رحمة الله ولطفه، أمَّا عن ظلم الجُباة فيقول:

وَتَوْكِيْـــلِ سُـــلْطَانٍ وصَـــوْلَةِ وَمُسْـــتَخْرِجٍ عـــاتٍ وظُلْـــمِ

فيضيق بحكَّام بلاده ذرعًا وترتفع عقيرته شعرًا، واصفًا إيَّاهم بجملة من الصّفات الَّتي تدل دلالةً قاطعةً على خِسَّة الوضع وتفاقمه؛ فوصفهم بـ(اللّئام – السّباع – الذّئاب – السّفل الرُّعاع)، يقول:

مَـدَحْتُ النَّـاسَ والـدُّنيا عَـرُوسٌ وَمَـا تَحْوِيْـهِ مِـنْ خَيْـرٍ مَتَـاعُ

فَلَمَّـا صَـارَتِ الـدُّنْيا عَجُـوْزًا لَهَـا شَـمَطٌ[٣] وَلَـيْسَ لَهَـا قِنَـاعُ

تَنَاهَبَهـا اللِّئَـامُ وكُـلُّ ذِئـبٍ وَحَالَـتْ دُوْنَ جَـدْواها السِّـبَاعُ

تَرَكْـتُ الشِّـعْرَ للرَّاضِـيْنَ مِنْهَـا بِمَـا يَرْضَـى بِـهِ القَـوْمُ الجِيَـاعُ

وصُـنْتُ الـنَّفْسَ عـن مَـدْحٍ وذَمٍّ وَتَـرْدَادٍ إلَـى السِّـفَلِ الرَّعَـاعِ[٤]

ثالثًا: التَّفاوت الطَّبقي واختلال الموازين:

المجتمع العباسي مجتمعٌ طبقي عانى منه الفقراء كما عانى الأحنف؛ فكان الظُّلم يقع عليهم ليل نهار ويرى بعينيه مستوى التَّفاوت المعيشي بين النَّاس، ففي الوقت الذي لا يجدُ فيه ما يسدُّ رمق جوعه يجد أبناء الطَّبقة المُترفة يعبثون بالمال يمنةً ويسرة، بل ويصرفونه في استجلاب اللَّهو والملذَّات.

فوُجد ((التَّفاوت الهائل في المستوى المعيشي بين من يحمّلون الذهب فوق أثفار الدَّواب وبين من لا يجدون أبسط مستلزمات الحياة، قاد الأحنف العكبري

(١) حاشر: عامل العشور والجزية، حاشية الدّيوان ١٣٥.

(٢) الدّيوان ١٣٥.

(٣) الشمط: بياض شعر الرأس يخالطه السَّواد، حاشية الدّيوان ٣٢١.

(٤) الدّيوان، السَّابق.

إلى السَّخط وإلى التَّشهير بأهل عصره، بل قاده إلى العبث والمجون والبذاءة في كثيرٍ من شعره لأنَّه كان يرى نفسه غريبًا شاذًّا؛ لأن النَّاس فيما يقول لا يحسُّون بأوجاعه وعيشته البائسة فيقول:

تـرى العقيـانَ كالـذهبِ المُصَـفَّى يُرَكَّـبُ فـوق أَثْفَـارِ الـدواب

وكيسـي مِنْـهُ خِلْـوٌ مثـل كفـيّ أمـا هـذا مـن العجـب

فالتَّفاوت الطَّبقي لُوحظ حتَّى في أتفه الأشياء كشرب الماء، فالمُنعَّمون من أهل الطَّبقة المُترفة لا يألون جهدًا في استحداث كلّ ما من شأنه أن يُخفّف عليهم وطأة الصَّيف؛ فجلبوا لهم المَراوح، وشربوا الماء صافيًا ومُثلَّجًا، بينما الأحنف ورفاقه يشربونه غرفًا باليد بلا كوزٍ، ومن جملة ما أغاضه رؤية مظاهر السَّرف والخُيلاء في قصور الخلفاء؛ منها الاحتفاء بتربية الحيوانات والتَّنافسُ في سبيل استجلابها، فكان ينظرُ في حاله وحال هذه الحيوانات فيجدها أحسنَ منه، بل وتزيدُ عليه في الحُسن فهي مُنعَّمة مُرفَّهة، يقول مُتذمّرًا من الشَّطط في توزيع الثَّروات:

رَأَيْتُ فـي الخُلْـد[٢] قِـرْدًا راكِبًـا وَلَـهُ سَـرْجٌ علـى الشَّـاةِ مَثْفُـوْرٌ[٣]

قَـدْ عَنَّهـا بِلِجَـامٍ وَهْـوَ رَاكِبُهَـا مُكَـرَّمٌ وَهْـوَ مَحْبُـوْبٌ وَمَطْلُـوْبُ

يُجْـدِي عَلَـى أَهْلِـه مـن فَضْـلِ وَيَغْتَـدِي رَاكِبًـا والقِـرْدُ مَحْجُـوْبُ

قَدَّامُـهُ حاجِـبٌ كَلْـبٌ ويتبعُـهُ قِـرْدٌ كَبِيْـرٌ ودُفٌّ وَهْـوَ مَصْـحُوْبُ

---

(١) قراءات في تمرد الشعراء العباسيين على السُلطة ١٦٩-١٧٠.
الدّيوان ٥٤١.

(٢) الخلد: قصر بناه المنصور ببغداد، حاشية الدّيوان ١٠٢.

(٣) مثفور: مأخوذ من الثفر وهو السير الذي في مؤخر السرج، السَّابق.

(٤) ملبوب: مأخوذ من اللَّبب وهو ما يُشدُّ على صدر الدَّابة يمنع السرج من الاستئخار، السَّابق.

....

مَـالي إذا مِـتُّ مـن يَبْكِـي علـيَّ ولا مَــنْ بـــي يُعَــزَّى وبَــابُ المَــوْتِ

والقـردُ فـي الخَلْـقِ مـا فـي رِجْلِـهِ وظَهْـرُ رِجْلِـيَ مَلْـوِيٌّ[١] وَمَقْلُـوْبُ[٢]

ولو تأمَّلنا بيته الأخير لوجدنا أنَّ عُقدة الحنف تظهر لديه في كلّ مرة يقارن فيها بين بؤسه ورفاهية من حوله.

رابعًا: ارتكاس القيم الأخلاقية، وانتكاس الأعراف الاجتماعية:

عاش الأحنف بين أقوامٍ نكد تفشَّى الحسد واللُّؤم والشَّماتة بينهم، وأصبحت معايير الصَّداقة فيه معاييرًا وقتيَّة تنتهي بانتهاء المصالح، فيتلوَّن الواحد منهم ألفَ لونٍ من أجل أن يحصل على مبتغاه وإذا حصل له ما حصل أسقط القناع الَّذي لبسه، وظهر على حقيقته الَّتي سعى جاهدًا لتزييفها، يقول حول هذا الشأن:

دُهِيْنَـا مِـنْ زَمَـانٍ لـيس فيـه سِـوَى متشـامتٍ أو مسـتريبِ

وحاسـدِ نعمـةٍ وصـديقِ وقـتٍ إذا مـا غبـت ذمَّـك فـي المغيـبِ

فمـن أولاك وِدًّا مـن صـديق ومـن ذي قُرْبَـةٍ أو مِـنْ غريـبِ

فحـبُّ خديعـةٍ لمكـانِ رِفـقٍ متـى مـا زال ذمَّـك مـن قريـبِ[٣]

ضاقت نفسه بالبُخلاء الَّذين منعوا عنه ما زاد عن حاجتهم من مالٍ وطعامٍ ولباسٍ فقال فيهم:

(١) ملوي: أي مِعْوجّ، حاشية الدّيوان ١٠٢.
(٢) الدِيوان، السَّابق.
(٣) الدّيوان ٥٤١.

يـا سَـادتي يَـا مَـنْ فـي طَلَـب الغِنـــى قَبَضُـــوا الأَكِنَّـــه[1]
ضَـــنُّوا بمـــا حَـــوَتِ الأكُّـــ ـــفُّ وأقْصَـرُوا مـــن بَسْـطِهنَّه
صُـــنْتُ المَـــدَائِحَ عَـــنْهُمُ وَبَكَيْـــتُ واســـتَثْنَيْتُ أَنَّـــه
أَسَـــفًا علـــى أَهْـــلِ الوَفـــا والمَكْرُمَـــاتِ وكُـــلِّ مِنَّـــه[2]

كان يطمحُ في أن يجد أخًا صادقًا يتخوَّله بالموعظة ويتفقَّدُ حاجته لكن هيهات له! فقال مُتمرّدًا

على ذاته: لو وجدتُ أخًا يستحقُّ أن ينال وُدّي لجعلتُ خدّي وطاءً لهُ كما تطأ القدمُ النَّعل، وهذا يدلُّ على افتقاده لمعاني الأُخوَّة الصَّادقة[3]، فيقول وكلُّه أسىً وحسرة من زمانه:

والعَـيْشُ فـي زَمَـنٍ أَهْلُـوْهُ قَـدْ عَـدَلُوا إلـــى المَـــذَاقِ وسُـــوْءِ الظَّـــنّ
أَرَى نُفُوسًـــا يَشِـــفُّ[5] الضَّـــغْنُ عَـــنِ القُلُـــوبِ بِـــبُغْضٍ غَيْـــرِ

فمن عاش في قومٍ هذه حالهم لا شكَّ أنَّه سيتمرَّدُ عليهم وعلى العيش معهم ويكْتنفُ الوحدة فهي خير له من هؤلاء الأشرار، فحَمْلُ جبال تهامة وأُحدٍ أهونُ عليه من مجالستهم، بل إنَّ نقل ماء البحر أخفُّ عليه من المكوث بينهم، ومثل هذا التَّمرد جاء في مواضع عدَّة في الدّيوان[7].

ومن العناء الذي عاش فيه بين قومه أنَّه قد يُظلم ويكون الحق له لكنَّه

(١) الأكنَّة: الأغطية، حاشية الدّيوان ٥٢٤.
(٢) الدّيوان ٥٢٤.
(٣) يُنظر: الدّيوان ٥٠١ "ولو وجدتُ أخا ودٍ جعلتُ له".
(٤) البرم: السَّأم والضجر، حاشية الدّيوان ٤٨٠.
(٥) يشف: يظهر ويكشف، حاشية الدّيوان ٤٨٠.
(٦) الدّيوان، السَّابق.
(٧) ينظر: الدّيوان ٤٥٦ "لحملُ تهامةٍ وجبالِ أُحُدٍ".

يُقْصى لرقَّة حاله، وهذا غاية الغبن، وجاء وصفه مُؤلمًا حينما أخبرنا عن وحدته إلَّا من الضُّعفاء أمثاله فقال:

سَــقَطَتْ عَــن الزَّمْنــى الحُقُــوقُ وزَمَــانتي قُرِنَــتْ بِــنَقْصِ المــالِ

فَمَتَـى مَرِضْـتُ فَخَـادِمي نَفْسـي فـإنْ عَجَــزَتْ تَوَلاَّهــا بَنُــو أشْــكَالي

ومَتَــى أَمُــتْ فَجَنَــازَتي مَحْفُوْفَــةٌ بالــمُدْلِقِيْنَ[١] لأنَّهــم أمْثَــالي[٢]

فلئن سقطت الحقوق عن الأسْوياء فما حال الأحنف الَّذي جمع مع عاهتي العمى والحنف الفقرَ الذي لا ينفكُّ عنه؟!

وذكر لنا حاله مع صداقات المُنافقين الَّذين يهشُّون ويبشُّون في وجهه، وحين ينصرفون عنه

ينهشون لحمه ويلسعونه بسياط ألسنتهم، فقال مُتمرِّدًا:

وَوَجْهُـك لـيْ ضَـاحِكٌ فـي اللِّقَـا وَلَكِــنْ لســانُك لِــي عَقْــرَبُ

تَــدِبُّ إلــيَّ بِمَكْــرِ الأَذَى ويَلْسَــعُني النَّــابُ والــمِخْلَبُ

فــإبْليسُ مِنْــكَ علــى خُبْثِــه أبــرُّ وَأَوْفَــى لِمَــنْ يَصْــحَبُ[٣]

فمثل هؤلاء يُقال في حقّهم:

ذَهَــبَ الوفــاءُ ذَهَــابَ أمْــسِ والنَّــاسُ بَــيْن مُخَــادعٍ ومُــوَارِبِ

يُبْــدُوْنَ بَيْــنَهُمُ المــودَّةَ والصَّــفا وَقُلُــوبُهُمْ مَحْشُــوَّةٌ بِعَقَــارِبِ[٤]

خامسًا: الوافد الأجنبي:

(١) المُدلقين: العُراة الفقراء، حاشية الدّيوان ٣٣٧.

(٢) الدّيوان ٤٣٥.

(٣) الدّيوان ١٢٤.

(٤) الدّيوان ١٢٩.

ضاق الأحنف بالوافد الأجنبي الَّذي التهم خيرات البلاد طولاً وعرضًا، وأكثرُ ما تضجَّر منه وجود أبناء اليهود بينهم، ويبدو أنَّ أعدادهم كانت كثيرة؛ لذا تأزَّم من مشاركتهم له في خيرات بلاده؛ ممَّا أدَّى إلى ضياع الفُرص عنه، فمال إلى أهل زمانه ليختار منهم من يصطفيه وهيهات أن يجدَ أحدًا، فلا أهل زمانه نفعوه ولا اليهود والنَّصارى الذين امتلأت بهم البلاد، بل ذاق من الجميع صنوفًا من العذاب.

هذه جملةٌ من الدَّوافع التي دفعت به إلى التَّمرد دفعًا، فقد جمع شرورًا عديدة يضيق الإنسان بواحدةٍ منها فكيف وقد اجتمعت؟!

حنفٌ، وفقرٌ، وعمىً، ووحدةٌ، واغترابٌ، وعلوُّ سنٍّ، وتشاؤُمٌ، وتفاوتٌ طبقيٌّ، وسياسةٌ جائرةٌ، وارتكاسٌ للقيم، وانتكاسٌ في الأعراف الاجتماعية، وكلُّ ما تقدَّم أهونُ عليه من الأحكام التي يحتكمُ بها اليهود على أرضه، يقول فيها:

وَمَـا شَـيءٌ أشـدَّ علـيَّ غَيْظًـا مـن الأَحْكَـامِ يَحْكُمُهـا اليَهُـودُ(١)

(١) الدّيوان ١٨٩.

المبحث الثَّاني:
اتِّجاهاتُ شِعْرِ التَّمرُّدِ
في ديوانِ الأَحْنَفِ العُكْبَرِيّ

تدهورت الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة والأدبيّة في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وانقلبت الحياة فيها رأسًا على عقب في شتى مناحي الحياة، ممَّا أدَّى إلى اختلال وزعزعة الأمن والاستقرار فيها، فاغتاظ النَّاس من سوء الحال فراحوا يشقُّون عصا الطَّاعة والولاء، وأعلنوها صرخاتٍ متمرِّدة في وجه العالم أجمع، كلٌّ يُعبّرُ عن غضبه بطريقته، من هؤلاء الغاضبين يخرج الأَحْنَفُ العُكْبَرِيّ الذي اتَّجه في تمرُّده اتجاهاتٍ عِدَّة، فبمطالعة الدّيوان والاستغراق فيه رأينا لديه تمرُّدًا: (دينيًّا، نفسيًّا، أخلاقيًّا، وجدانيًّا، قبليًّا، اجتماعيًّا، سياسيًّا)، وفي هذا الفصل سنعرض لأبرز اتجاهات التَّمرد لديه، فوقع الاختيار على طائفةٍ من النَّماذج الشّعريَّة المُتمرِّدة أحسبُ أنَّها جلَّت الصُّورة بشكلٍ أو بآخر.

أولًا: التَّمرُّد الدّيني:

قبل أن نلجَ في استعراض الشَّواهد المُتمرِّدة علينا أن نُقرّر حقيقةً من الأهمية بمكان أن لا تغيب عن أذهاننا، وهي أنَّ الأَحْنَف كانت عقيدته صحيحة؛ يعلم أنَّ رزقه سيأتيه وإن وقف في طريقه المُثبّطون لكنَّه أحيانًا يُعاني من الحرمان وشظَف العيش فيظهر هذا على فلتات لسانه بينما قلبهُ مُفْعمٌ بحب الإله، وهذا إن دلَّ فإنَّما يدلُّ على شخصيَّته المُتناقضة يقول:

وَأَشْـــهَدُ أنَّ الله لا شَـــيْءَ غَيْـــرَه وَأَنْسُـبُ أَحْكَـامَ الإلـهِ إلـى العَـدْلِ

وأعلـــمُ أنَّ الله عَـــدْلٌ قَضَـــاؤُهُ وتَعْوِيجَـــهُ رِجْلـــي دَلِيـــلٌ علـــى

وتبقى نصوصه المُتمرِّدة شاهدةً على حالته النَّفسية البائسة التي وصل

إليها جرَّاء الظُّروف الحياتيَّة الصَّعبة، هذه الظروف جعلت منه شخصيةً متمرِّدةً على كل شيء يتضادّ مع رغباته وتطلُّعاته.

ومن تمرُّده الدّيني حلفه بغير الله، فالأحنف يحلف بالنَّبي، وبالمسيح، وبموسى، والذَّبيح، والأحبار، والرُّهبان، مع أنَّ الحلف بغير الله لا يجوز لقول النبي –ﷺ–: «من حلف بغير الله فقد أشرك»(١).

يقول (الأحْنَف) في هذا:

خُـذُوا خَطِّـي ومِيثَـاقِي وعَهْـدِي وحَلْفـــي بـــالنَّبِيّ وبالمَسِـــيحِ
ومُوســى والــذَّبِيحِ ومَــنْ تَــلاَهُ مِــنَ الأَحْبَــارِ مِــنْ بَعْـدِ الـذَّبِيحِ
وبالنُّقبـــاءِ مِـــنْ أَوْلاَدِ يَحْيَـــى وبالرُّهْبَــانِ أَصْــحَابِ المُسُــوحِ(٢)
بَــأَنِّي مَــا وجَــدْتُ أَخًــا وفيًّــا يُصَــاحِبُني علــى وُدٍّ صَــحِيحِ(٣)

والأحْنَف رجلٌ عبثت به الأشواق للدَّرجة الَّتي يزلُّ معها لسانه فيقول:

سَــلُوا عــن مَبِيتــي اللَّيــلَ كَيْــفَ علــى كَبِــدِي كَفِّــي ودَمْعِــي علــى
أَظَـلُّ علـى شَـوْقٍ وأَضْـحِي علـى وفـي كَبِـدِي نـارٌ تَضـرَّمُ عن وَجْـدي
وَلَــمْ يَلْــقَ خَلْــقٌ فــي الهــوى مَــا مــن الوَجْـدِ، لا قَبْلـي أَراه ولا بَعْـدِي
وَأَيْسَـرُ مـا أَلْقَـاهُ فـي الحُـبِّ أَنَّنـي أَتِيـــهُ علـــى المَـــوْلَى وأَخْضَـــعُ

فإن كان هذا هو الأيسر من حاله، فما حال الأشدّ؟!

وحينما لامَهُ أحدهم على تحايله واستخدامه للمخاريق –معَ ما كان عليه من علمٍ وفلسفة–نسب نقصه لله –جلَّ في عُلاه–، وحاشا الله أن يُقال في حقّه

(١) صحيح سنن أبي داود، الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط: ١، ١٤٠٩هـ، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، رقم الحديث: ٢٧٨٧–٣٢٥١، م: ٦٢٧/٢.

(٢) المسوح: كساء من الشعر، وتُسمى ثياب الرهبان مسوحًا ويقصد عُبَّاد النَّصارى، حاشية الدّيوان١٥٠.

(٣) الدّيوان، السَّابق.

(٤) الدّيوان ١٧٧.

ما قاله الأحنف!:

لائِـمٌ لاَمَنِـي أَطَـالَ التَّعَـدِّي ... لـم يُـرِدْ بـالملامِ إذْ لاَم رُشْـدِي
قَـالَ لـي: أَنْـتَ فَيْلَسُـوفٌ حَيُـولٌ ... عَـالِمٌ كَـيِّسٌ بِحَـلٍّ وعَقْـدِ
فـأَبَى اللهُ أن أكُـونَ غَنِيًّـا ... مـا احْتِيَـالِي والـنَّحْسُ يَطْـرُدُ

فكيف يأبى الله له الخير؟! وهو ما أفقره إلَّا ليلجأ إليه، وليترفَّع عمَّا في أيدي النَّاس، فللَّه العدلُ المطلق لا يظلم مثقال ذرَّة، فكيف بنفسٍ تُقِرُّ بوحدانيَّته وعدله؟! ويعترض قائلًا: مَهْما بلغت بي الحذاقة في الحِرفة والاحتيال إلَّا أنَّ نحسي يطرد سعدي وفي هذا تعدٍّ واضح وصريح.

ونمضي معه وهو يستفهم مُنكرًا جدوى الأمانة والتَّقوى مع رداءة الحظَّ معه؟! ونتعجبُ أكثر من كونه لا يجدُ غضاضة من أن يكون ظالمًا أبًا عن جدٍّ إذا ادلهمَّت عليه الخطوب فيقول:

وأيُّ مَكَـانٍ للأَمَانَـةِ والتُّقَـى ... إذا لَـمْ يَكُـنْ للمَـرْءِ حَـظٌّ يُسَـاعِدُه؟
وَمَـا أَنَـا إلاَّ ظَـالِمٌ وابـنُ ظَـالمِ ... إذا هَجَمَـتْ يَوْمًـا عليـه

ويمضي في تمرُّده على الرُّموز الدّينيَّة ربَّما ليلفت النَّظر إليه، فيقول في إمام المسجد على جلالة قدره:

ويَنْهَـقُ أَوْقَـاتَ الصَّـلاةِ كأَنَّـه ... نَهِيقُ حِمـارٍ وهـو بـالمرجِ[٣] يُطْـرَدُ
ويـأْمُرُ بـالمَعْرُوفِ والفِسْـقُ فِعْلُـه ... ويَنْهَـى عـن التَّـزْلِيجِ[٤] وَهـو
يَقُـومُ فَيُبْـدِي نُصْـحَهُ عِنـد نَفْسِـهِ ... وَيَنْهَـى بِخَيْـرٍ وهـو بـالزُّورِ يَشْـهَدُ

(١) الدّيوان ١٨٠.
(٢) الدّيوان ١٨١.
(٣) المرج: أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب، حاشية الدّيوان ١٩٨.
(٤) التزليج: يتزلج النبيذ أي: يُلِحُّ في شربه، السَّابق.
(٥) يُصعِّد: من التصعيد، وهو الإذابة، فيعالج بالنار حتى يحوَّل عما هو عليه طعمًا ولونًا، السَّابق.

يُعَــارِضُ أَمْــري كُلَّــهُ بِخِلاَفِــه ويَحْلِــفُ بــالرَّحْمَنِ أَنِّــي مُلْحِــدُ[1]

فيستخفُّ هنا بصوت الأذان ويشبّهه بنهيق الحمار حينما يُترك للرَّعي، ويأمر النَّاس بالمعروف وينهاهم عن المخازي التي من بينها شرب الخمر، بينما هو يتحايل في طريقة شربه، وأشدُّ من هذا نكاية تنكُّبه عن الحق في الشهادة!

ومن الرُّموز الدّينيَّة الَّتي جاء الاستخفاف بها في شِعْرِه (اللِّحى)، وهي زينة الرَّجل ووقاره، وقد جاء الشَّرع المُطهَّر بالأمر بتوفيرها وإرخائها فقال المصطفى -عليه السلام-: «جزُّوا الشَّوارب، وأرخوا اللِّحى، خالفوا المجوس»[2] ، لكنَّ الأحْنَف تمرَّد على هذا بقوله:

إِذَا اعْتَنَــقَ الوَقَــارَ المَــرْءُ أَضْــحَى أَسِــيرًا أَوْ عَلَــى خُلُــقِ الأَسِــيْرِ

وإِنْ خَلَــعَ العِــذَارَ[3] غَــدَا أَمِيْــرًا سُــرُوْرًا أو أســرَّ مــن الأَمِيــر[4]

فكيف تكون اللّحية مصدرًا للقيد وانعدام الحُرية وبإزالتها يغدو الشخص أميرًا؟!

ومعَ الحُبّ والحبيبة ينسى الأحنف نفسه ويتمرَّد على كل شيءٍ لدرجة أنَّه نسيَ الأدب مع ربّه قائلًا: إنَّه مُتيَّمٌ بالحبيبة إلى أن غدا عبدًا لها، ويقول مبتذلًا مع محبوبه وهذا غايةٌ في الفُحش:

إِذَا صَــحَّ لــي فــي العَقْــلِ أَنَّــك وَأَنِّــيَ مَمْلُــوكٌ لَــدَيْكَ أَسِــيرُ

وَأَنِّــي مَقْهُــورٌ وأَنَّــك قَــاهِرٌ وأَنِّــيَ مَــأْمُورٌ وَأَنْــتَ أَمِيــرُ

---

(١) الدّيوان ١٩٨-١٩٩.

(٢) صحيح الجامع الصغير، الألباني، المكتب الإسلامي، ط:٢، ١٤٠٦هـ، رقم الحديث: ٣٠٩٢ م: ٥٩٤/١.

(٣) العِذار: الشَّعر النابت في جانبي اللّحية، حاشية الدّيوان ٢٧٣.

(٤) الدّيوان ٢٢٧.

وأنَّـــك رَاضٍ بالـــذِي بـــيَ فـــي فَكُـلُّ كَبِيْـرٍ فـي هَـوَاك صَـغِيرُ[١]

كيف يخلع على محبوبه صفاتٍ لا تتجلَّى إلاَّ فيمن فلق الحبَّة وبرأ النَّسمة؟! فالله هو المالك، وهو القاهر، وهو الآمر، فكيف يسمحُ لنفسه أن يكون عبدًا ورهينًا لهذا المحبوب؟! فلو كان يملك للأحنف نفعًا أو ضرًّا لبرَّأه من حنفه وفقره، وجعل الأملاك كُلَّها رهنَ إشارته وأنَّى له؟!

وفي الوقت الذي تنهانا فيه الشَّريعة عن سبّ الدَّهر حيث يقول الله تعالى: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر، أقلّب اللَّيل والنَّهار»[٢]، نجد الأحنف يصبُّ جام غضبه على الدَّهر ويتمرَّد على صنيعه فيقول:

مَرَاتِـــبُ الـــدَّهْرِ بِأَتْعَاسِـــه تُغَصِّـــصُ الحـــرَّ بأنفاسِـــه

لـم يَبْـقَ مِـنْ مَكْرُوهِـه غُصَّـةٌ إلاَّ سَـــقَانِيْهَا وَمِـــنْ بَاسِـــه[٣]

ويتمرَّدُ على الرُّكن الثاني من أركان الإسلام وهو (الصلاة)، إذْ يرى وجوبها على أهل السّعة والاقتدار، أمَّا الصَّعاليك مُعدمو القوت فلا صلاة عليهم وهذا فسق منه، يقول:

يُصَـلِّي الـدَّيْلَمِيُّ[٤] وَشِـيْرَمَرْدَى[٥] وَأَصْـــحَابُ القَطَـــائِعِ والضِّـــيَاعِ

فَتِلْـــكَ عِصَـــابةٌ كُتِبَـــتْ علـــيهم صَـلاةٌ لا عَلَـى العُـرْيِ الجِيَـاعِ[٦]

ومن تمرُّده العَقدي ولاؤه ليهود بني قريظة، ووصفه لحديثهم بأنَّه أشهى وألذُّ من الخمرة! يقول:

---

(١) الدّيوان ٢٥٤.

(٢) صحيح الجامع الصغير، رقم الحديث: ٤٣٤٣، م: ٢/٨٠٠.

(٣) الدّيوان ٢٩٨.

(٤) الديلمي: عماد الدولة علي بن بويه.

(٥) شيرمردى: من كبار حاشية مُعِز الدولة، حاشية الدّيوان ٣٢٧.

(٦) الدّيوان ٣٢٧-٣٢٨.

أَصْـــبَحْتُ أَضْـــجرُ بالحَدِيـــ ـــــثِ وبالسَّـــــلامِ وبـــــالكَلامْ
إلاَّ حَـــــدِيثَ بَنِـــــي القُرَيْـــــ ـــــظةِ مـــن مُسِـــنٍّ أو غُـــلامْ
فَحَـــــدِيثُهم عِنـــــدِي أَلَـــــذْ ذُ مِـــــنَ التَّمَتُّـــــعِ بالمُـــــدَامْ[1]

والخمرة عنده كلُّ شيء، يعترفُ بحرمتها، لكنَّه لا يسلو عنها، وكأنَّها هواهُ الذي يتنفَّسُه، فتأخذه لعوالمَ يفتقدها على وجه الحقيقة فيقول:

أُحَـــرِّمُ مَـــا يَصِـــحُّ بـــهِ مِزَاجِـــي وَيَنْفِـــي الهَـــمَّ عـــن قَلْـــبٍ مُهَـــانِ
فـــإنْ كَفُّـــوا كَفَفْـــتُ وإن أعَـــادُوا شَـــرِبْت الخَمْـــرَ مِـــن حَلْـــبِ[2]

فالأحنف يجاهر بالمعصية ولا يكتفي بالشَّراب فحسب فلو كان هناك مجال لَعَصرَ الأواني وحلبها كما تُحلب الشاة، وهذا تمرُّدٌ منه.

ونراهُ يتمرَّد في وصف غلامٍ تعلَّق قلبه به، فيضفي عليه كلَّ صفات الحُسن، ومعَ ما اقترفه في هذا من إثمٍ نجده يتبجَّحُ قائلًا:

كَاتِبَـــاهُ تَمَتَّعَـــا مِنْـــهُ بـــالقُرْ بِ فَمَـــا يَكْتُبَـــا الـــذُّنُوبَ عَلَيْـــه[4]

فهذا الكلام لا يليق بالملائكة الكرام المطهَّرين، وغالب التَّمرد الَّذي ظهر عنده قد يكون مقصدهُ تزجية الوقت، والتَّنفيس عن نفسه التي رزحت تحت سطوة الظُّلم وقسوته، فالشَّاعر قد يقول ما لا يفعله.

ثانيًا: التَّمرد النَّفسي:

وهنا نجد أنَّ الأحنف ضاقت به الأرض بما رحبت، حتَّى نفسه الَّتي بين جنبيه لم يعد يحتملها ولا هي تحتمله، فتارةً يزجرها، وتارةً يهجوها، وثالثةً

(١) الدّيوان ٤٧٨.
(٢) حلب: استخراج ما في الضرع من لبن، حاشية الدّيوان ٥٢١.
(٣) الدّيوان ٥٢١.
(٤) هذه القطعة مضطربة؛ البيتان الأخيران من الخفيف، والأول شطره الثاني من مجزوء الكامل، حاشية الدّيوان ٥٣٧.

يستهجنُ أفعالها فيتمرَّدُ على حظِّه مُقرّرًا أنَّ حِرفة الأدب قد أدركته، ويعقد مقارنة بين حاله وحال قردٍ في قصر أمير، وشتَّان ما بين الحالين؛ ففي الوقت الَّذي يتمتَّع فيه القردُ برجلٍ صحيحة نجد الأحنف يُعاني من عقدة النَّقص فيها قائلًا:

إنِّـي تفكَّـرتُ فـي حُرْفـي عَلَـى ... وكُـلُّ شَـيءٍ لَـهُ عِلْـمٌ وتَسْـبِيْبُ

وَجَـدْتُ حَظِّـي مـن الـدُّنيا ... وكُـلُّ شَـيْءٍ فَمَكْتُـوبٌ وَمَحْسُـوْبُ

أقـلَّ مـن حَـظِّ قِـرْدٍ فـي وَقَاحَتِـه ... والقِـرْدُ ذُوْ ذَنـبٍ والقِـرْدُ مَقْبُـوْبُ

والقِـرْدُ فـي الخَلْـقِ مـا فـي رِجْلِـهِ ... وظَهْـرُ رِجْلِـيَ مَلْـوِيٌّ وَمَقْلُـوْبُ(١)

وفي موضع آخر يحتقرُ من يُصنّفه في مصافّ العلماء والأدباء، فيتمرَّدُ على نفسه ويشينها بأقذع الصّفات قائلًا:

واصِـــفِي بـــالعِلْم والأَدَبِ ... نَـــاطِقٌ بـــالزُّوْرِ والكَـــذِبِ

وَمُعِيْـــرٌ مَـــدْحَ ذِي شَـــرَفٍ ... عَـــنْ بَخِيْـــلٍ وَاهِـــنِ السَّـــبَبِ

نِعْمَتـــي كَلْبِيَّـــةٌ وَيَـــدِيْ ... خُلِقَـــتْ للأَكْـــلِ والطَّلَـــبِ

سُـــؤْدَدِي سُـــخفٌ ومُكْتَسَـــبي ... بِمَخَـــارِيقٍ ومُضْـــطَرِبِ

ونـــوالي غَيْـــرُ مُنْتَظَـــرٍ ... كَيْـــف يُرْجـــى النَّيْـــلُ مـــن

ونراه يستخفُّ من تصابيه في زمنه الأشيب ويبين موقف الحسناوات منه قائلًا:

(١) الدّيوان ١٠١-١٠٢.

(٢) الدّيوان ١٠٦.

وتـأبى مـن الأصْـحَابِ كُـلَّ مُخَيَّـبٍ كَسِـــيْرِ الثَّنايـــا أشـــيبِ الـــرأسِ[1]

ويتضجَّر من اشتغاله بالشّعر والحكمة فيرى أنها سببٌ للعطب؛ لأن الزَّمان لا يرى لأهل العلم تكرمةً، بل يحتفي بالجَهَلةِ السَّفلة فيقول:

حَسْـــبي ضَـــجِرْتُ مـــن الأَدَبْ وَرَأَيْتُـــــهُ سَـــــبَبَ العَطَـــــبْ

وهَجَـــــرْتُ إعْـــــرَابَ الكَـــــلاَ مِ وَمَـــا حَفِظْـــتُ مِـــنَ الخُطَـــبْ

لا تَعْجَبِـــي يـــا هِنْـــدُ مِـــنْ قَـــوْلِي فَمَـــا فِيـــهِ عَجَـــبْ

إنَّ الزَّمَـــــانَ بِمَـــــنْ تَقَـــــدْ دَمَ فـــــي النَّبَاهَـــــةِ مُنْقَلِـــــبْ

والجَهْـــلُ يَضْـــطَهِدُ الحِجَـــى والـــرَّأْسُ يَعْلُـــوهُ الـــذَّنَبْ[2]

ويتعجَّبُ من سذاجة مَنْ حوله حينما يقرأ حظوظهم مُتنبّئًا بالغيب، وهو في حقيقة أمره ضريرٌ لا يقوم بنفسه فكيف بغيرها؟! يقول:

أَلَـيْسَ مِـنْ الكُبْـرَى ضَـرِيرٌ مُـنَجِّمٌ وحَاسِـبُ أَعْمَـى للكَوَاكِـب يَرْقُـبُ؟!

وَلَكِنَّهـــا الـــدُّنيا تُغيِّـــر أَهْلَهَـــا فَـأَعْمَشُ كَحَّـالٌ وثَـوْرٌ مُطَبِّـبُ![3]

ويستفهم مُستنكرًا كيف لحاسدٍ يحسده وهو مُعدمٌ فقير لا يلوي على شيء؟! يقول:

هَـلْ حَاسِـدٌ حَسَـدَ الفَقِيْـرَ علـى أو حَاسِـدٌ أَحَـدًا علـى القُـبح؟![4]

فقيرٌ وقبيحٌ فأنَّى يُنظر له؟! ونجده يحتقرُ نفسه كثيرًا ويرى أنَّ السَّبب وراء شقائه: الفقر، والحنف، وكبر السّن، فيقول:

---

(١) السَّابق.
(٢) الدّيوان ١١٠.
(٣) الدّيوان ١٢٠.
(٤) الدّيوان ١٥٢.

أحَــقُّ النَّــاسِ بالــذُّلِ الفَقِيــرُ وَأَقــربُهم مــن الضُــرِّ الضَّــرِيرُ
وَأَبْعَــدُهُم مــن النِّسْــوَانِ حَظًّــا إِذَا مَــا بَــيَّضَ الشَّــيْخُ الكَبِيــرُ
وَيَــأْتِي مــا يُغَطِّــي كُــلَّ هَــذَا أُمُــورٌ فــي عَوَاقِبِهَــا أُمُــورُ(١)

ومن أسباب تمرُّده النَّفسي عزوف النّساء عنه، فقد ركَّب الله فيه ما يشتهيه منهنَّ لكن لسوء حظّه أنَّ النّساء رُكّبَ فيهنَّ خلاف هذا، وهذه المفارقة أتعبتهُ كثيرًا، فجعل من نفسه شخصًا آخر يُسقِط عليه المعايب كمُعادلٍ موضوعيّ فيقول:

ويَظَـلُّ يَبْكـي حِـيْن يُنْشِـدُ شِـعْرَهُ أَسَــفًا علــى الأَنْقَــاسِ(٢)
بَــارَتْ قَصَــائِدُه علــى إِفْلاسِــهِ مُسْـتجلِبًا بـالبُؤْسِ فَضْـلَ النَّـاس
وَإِذا أَنَــابَ إِلَيْــهِ سَــعْدُ زَمَانِــه أَفْضَـى إليـه بِجُمْلـةٍ مـن يَـاسِ(٣)

ويصف لنا نفسه البائسة حينما يستجدي النَّاس عطاءً فيمنعونه، فينصرفُ عنهم ونفسه كنفس الكلب خسَّةً ومهانة، فما كان منه إلَّا أن هجاها بقوله:

وإنِّــي لأُغْــرَى بالهِجَــا مُتَبَرِّعًــا فَــإِنْ ضَــاقَ بــي خُلــقٌ هَجَــوْتُ بــه(٤)

ويتمرَّدُ على نفسه بأُسلوب ساخرٍ مُتهكّم وينسبها إلى طائفة النَّوكى غيرَ آبهٍ بذلك فيقول:

أَضِـفْني إلــى النَّــوكَى وقُــلْ: هُــوَ وهَــاتِ الغِنَــى عــن كُــلِّ حُــرِّ(٥)

ثالثًا: التَّمرد الأخلاقي:

(١) الدّيوان ٢٧٣-٢٧٤.
(٢) الأنقاس: جمع النِّقْسِ وهو المداد، حاشية الدّيوان ٢٩٣.
(٣) الدّيوان ٢٩٣.
(٤) الدّيوان ٣٠٦.
(٥) الدّيوان ٤٦١.

نحا الأحنف في تمرُّده هذا مناحيَ عدَّة؛ فتارةً يتغزَّلُ بالمُردان ويتعشَّقُهم، ويحثُّ على وِصَالهم قبل البلوغ، ويُنفّر منهم بعده، وتارةً يتغنَّى بالخمرة ويحتسيها حتى يثمل ويفقد وعيه، ويرى أنَّ النَّشوة التي يحصل عليها من جرَّاء الشَّراب تُنسيه آلامه وهمومه؛ مما قد يذكر معها بعض الألفاظ الفاحشة التي تخدش الذَّوق والحياء، وتارة يتفسَّخُ ويُجاهر بالفسق، وأحيانًا يتصابى وينزع ثوب الحياء والوقار، كل هذا حاصلٌ بسبب نفسيَّته الحانقة وتمرُّده على الحياة بكلّ أطيافها، ولأنَّه وحيدٌ لم يجد أمامه إلَّا قِرطاسه وقلمه، فراح يفرّغ آلامه وأحزانه شِعْرًا، وبالنَّظر الفاحص في ديوانه نجده ممتلئًا بنصوص مُتمرِّدة يتغزَّل فيها بالمُردان، وهذا أمرٌ لا يُقرُّه عقل ولا دين، بل هو انتكاسة فطريَّة وخروج عن الذَّوق السائد، يقول حول هذا المعنى:

لَــوْ خَيَّرُونـــي بصَـــبيٍّ رائِـــقٍ ... أو مَـرَةٍ حَسْـنَاءَ قُلْـتُ: الصَّـبِي[1]
مَـــالي وللبَحْـــرِ وَأَمواجِـــه ... أَخَـافُ أَنْ يَكْسِـرَ بِـي مَرْكَبِـي
إِذَا هَوَيْـتُ المُـرْدَ فـي عِفَّـةٍ ... فَمَـا يَضُـرُّ النَّـاسَ مِـنْ مَـذْهَبِي
دِينـي علَـى دِيْـن نَبِـيٍّ الهُـدَى ... وَأَشْـــتَهِي صُـــحْبَةَ (...)[2]

فالأحنف يناقض نفسه بنفسه فيرى أنَّه على دين نبيّ الهدى، لكنَّه يهوى المُردان ويشتهي صحبتهم في الوقت نفسه، وهذه مفارقة! يقول على سبيل الخلاعة والمُجون:

حَصَّـلتُ عِلْقًـا[3] مَاجِنًـا شَـاعِرًا ... مُحرّكًـــا فـــي كُـــلِّ حَالاَتِـــه
نَاولْتُـــه شَـــيْئًا فَـــأَزْرَى بـــهِ ... وَقَـــالَ: زِدْنـــي ضِـــعْفَ وَزْنَاتـــه

(١) هكذا في الأصل، والوزن مختل فصدر البيت من الرجز، حاشية الدّيوان ١٢٠.
(٢) ما بين القوسين كلمة غير لائقة، عفا الله عن قائلها، السَّابق.
(٣) العِلق: المؤاجر الذي يتثنى ويتلوى ويتدلل، حاشية الدّيوان ١٤٢.

فَقُلْـتُ: مَهْـرُ المِثْـلِ فـي مَـذْهَبي عَــدْلٌ عَلــى أَبْعَــدِ غَايَاتــهَ[١]

ويتماجنُ مُفْصِحًا عن سبب اختياره لعُكبرا سكنًا له، فهو لم يخترها لكثير فائدةٍ بل لجنانها الخَضِرة، ولجمال نشئها من اليهود، فجمع سوءًا فوق سوء؛ عشقهُ للمُردان وأبناء اليهود فيقول متمرّدًا:

مَــا اخْتَــرْتُ بَعْــدَكَ عُكَبــرا وَطَنًــــا لِبَــــذْلِ مُفِيْــــدِه

لَكِــــنْ لِحُسْــــنِ جِنَانِــــه وَجَمَــــالِ نَــــشْءِ يَهُــــودِه

أَفْدِيــــه مِــــنْ مُتَــــدلِّلٍ فِــــي وَصْــــلِه وَصُــــدُودِه

هَــــارُوتُ فــــي لَحَظاتِــــه إِبْلِــــيسُ بَعْــــضُ جُنُــــودِه

أَحْيَــا وَأَتلَــفُ فــي هَــوَا هُ بِوَعْــــدِه ووَعِيْــــدِه[٢]

فهذا الغلام الأمْرَدُ يفعل فيه فعل السَّحرة، وهذا يدلُّ على أنَّ اليهود تمكَّنوا من قلبه، وقد صرَّح بذلك[٣]، وشبهه بالرَّيحان حالة كونه غضًّا طريًّا وكيف يُقبل النَّاس عليه شمًّا وتقبيلًا، أمَّا إذا ذبل وذوى عُوده ألقوه في المزابل فيقول:

كَـذَا الرَّيْحَـانُ يَحْسُـنُ وهـو غَـضٌّ ويُجْعَلُ فـي الوُجُـوهِ وَفـي الأُنُـوفِ

ويُهْجَــى بَعْــدَما يَــذْوي ذُبُــولاً ويُلْقــى فــي المَزَابــلِ والكَنِيــفِ[٤]

ويُقرُّ بتحريم الخمرة، ونُفْرة من حوله منها ومعَ هذا يشرب إلى أن يثمل، متمرّدًا على القيم والتَّقاليد ضاربًا بها عُرض الحائط، وفي قصيدته السَّاسانية يظهر التَّمرد الأخلاقي فيها جليًّا، فهم صعاليك خرجوا عن الذَّوق والعُرف

(١) الدّيوان ١٤٢-١٤٣.

(٢) الدّيوان ١٦٤.

(٣) يُنظر: الدّيوان ٢٠٦ "وما شوقي إلى شيءٍ كشوقي".

(٤) الدّيوان ٣٦٩.

باحثين عن مآربهم.

رابعًا: التَّمرد الوجداني:

وهذا النَّوع من التَّمرد نعْرضُ فيه لنماذجَ من تمرده، ونُفْرته من المحبوبة، وهذه المفارقة عجيبة؛ يُحبُّها ويُتيَّم بها لكن ما إنْ تحين له فرصة اللّقاء إلاَّ ونراه يهربُ منها، فرُبَّما يكونُ للعيوب الَّتي وُجدت فيه سببًا لنفرة النّساء عنه، لا سيَّما وهو أحنف، ضرير، فقير، ومن ذلك قوله:

نَصَبُوا البُدُوْرَ على الغُصُونِ عَلَى ... مُتَدَرِّجٍ[٢] مُتَرَجْرِجٍ[٣]

واسْتَعْصَمُونا بالتُّقَى بَعْدَ النُّهَى ... أَيْنَ النُّهَى مِنْ مَخْرَجٍ

قَرَنُوا الضَّريمَةَ واليَبِيْسَ وخَوَّفُوا ... والنَّارُ تُسْرِعُ في يَبِيْسِ العَرْفَجِ

وَأَنا المُشِيْرُ عَلَى الشُّيُوْخ بِعِفَّةٍ ... سِيْمَا بشَيْخٍ أَحْنَفٍ أَوْ أَعْرَجِ

إنَّ الغواني يَطَّبِيْهِنَّ[٥] الفَتَى ... وَيَرَيْنَهُ بِلِحَاظِ طَرْفٍ أَدْعَجِ

وإِذَا رَأَيْنَ الشَّيْخَ قُلْنَ لَهُ: النَّجا ... أَيْنَ الغَزَالُ مِنَ البَعِيْرِ

لَيْسَ النَّقِيُّ من الدَّراهِمِ جَائِزًا ... عِنْدَ الصَّيَارِفِ في مَجازِ

فهناك فرقٌ بين حسناءَ تمشي في دَلٍّ وغنج، وبين شيخٍ أفحج لا يؤبه له، وينفرُ منه كلّ من رآه!

ومن تمرُّده الوجداني تمرُّده على العلاقات الاجتماعيَّة الَّتي تأنس بها

(١) النقا: القطعة من الرَّمل، حاشية الدّيوان ١٤٥.

(٢) متدرج: رمل فيه نمانم من الريح، السَّابق.

(٣) مترجرج: مضطرب، السَّابق.

(٤) متضرج: مختلط بالحمرة أو الصفرة، السَّابق.

(٥) الطَّبُ: الشّهوة والإرادة والمقصود: يُردن، حاشية الدّيوان، السَّابق.

(٦) الدّيوان، السَّابق.

النَّفس الإنسانيَّة إلَّا نفسه، فيخبرنا بأنَّ لديه بنتًا لم يبادلها الحُبَّ كما يفعل الآباء تجاه بناتهنَّ وما يغدقونه عليهنَّ من حُبٍّ، وتدليلٍ، ورفاهية عيش، بل كان مُخالفًا للفطرة السَّويَّة فيتمنَّى الموت لها ولأُمّها؛ لأنَّه يريد أن يكون وحيدًا مُنفردًا بشؤمه، لا يُشاطرنه الحِرمان ولا يُقاسين ويلته!

ونراه كُلَّما رام وصلًا هجرته الحسناء وأبدت امتعاضًا منه، حتى إنَّه بعدما يعْقِد على إحداهنّ يُطلّقها قبل الدُّخول بها؛ لأنه أَلِف الوحدة وألفتْه، يقول في ذلك:

كَـمْ عَـرُوسٍ طَلَّقْتُهـا قبـل مَلْكِـي وكَتَبْـتُ الطَّـلاقَ قَبْـل الصَّـداقِ؟!

لا كِتَـــابٌ بِعُهْـــدَةٍ وشُـــهُودٍ بَـلْ جَعَلْـتُ الفِـرَاق قَبْـلَ الطَّـلاقِ(١)

تأفَّف منهنَّ جميعًا وضجر منهنَّ، فهرع مُنْقطعًا عن كلّ العلائق فأراح نفسه واستراح!

خامسًا: التَّمرد القَبَلِي:

وفيه سنعرضُ لبعض النُّصوص الَّتي تمرَّد فيها الأحنف على قبيلته، أو أيَّ قبيلة نزل فيها، والعلَّة الجامعة في كلٍّ عدمُ حصوله على مبتغاه من مالٍ وسُؤددٍ؛ لذا شقَّ عصا الطَّاعة، وأصبح ثائرًا متمرّدًا، يتحيَّن كلَّ فرصة من أجل الإطاحة بها، وأنَّى له ذلك لعيبه الخَلْقي؛ لكنَّه أقام لسانه مقام رجليه بل فاقهما في السَّلاطة والتَّشفّي، اسمع إليه وهو يقول:

أيُّهـــا المُشْـــتَفُّ فـــي نَسَـــبي مِنْـــكَ لا مِـــنْ خِسَّـــتي عَجَبـــي

كُلَّمـــا فَتَّشْـــتَ عَـــنْ نَسَـــبي لَـــمْ تَجِـــدْ شـــيئًا مـــن النَّسَـــبِ

(١) الدّيوان ٣٧١.

إنْ يكُـنْ فـي النَّـاسِ لـي حَسَـبٌ فَهْـوَ مَعْـدُولٌ عــن العَــرَبِ[1]

فيُقرُّ بأنَّه خسيسٌ ولا نسب يُذكرُ له، قد يكون مُحِقًّا في تمرُّده هذا؛ لأنَّهم كلَّما أبصروه سخروا من حنفه، ونسبوهُ إلى المجون والمقابح، فجاء شعرهُ كردّ اعتبارٍ لاسترداد جزء من كرامته التي سُلبت، فكان يعاقبهم فورًا بالطَّعن في نسبه، وفي قبيلته التي تنكَّرت له، ومما قاله في حقِّ العكابرة استهزاءً بهم، وتمرُّدًا عليهم:

إذَا مَــا العُكْبَــرِيُّ دَنَــا وَأَدْنَــى إِلَيْـكَ مِــن المُــرُوءةِ مــا تُرِيْــدُ
وماحَضَـكَ[2] **النَّصِـيحَة والتَّـوَاني وَلَــيْسَ علــى مَوَدَّتِــه مَزِيــدُ**
هُنــاك تَوَقَّــهُ بــل خَفْــهُ واحْــذَرْ أذَاهُ فإنَّـــــه أفْعَـــــى زَرُودُ[3]

وبالغ في وصفهم بـ(عبيد العصا) نكايةً بهم فقال:

عَبِيدُ العَصَا لـم يَظْفَرُوا بِفَضِيلَةٍ وَلَـمْ أرَ فِـيهم بالحَقِيقَـةِ مَاجِـدا[4]

واستمرَّ في التَّحقير من شأنهم حتَّى إنَّ الضيف إذا حلَّ بديارهم لم يُكرموه إلَّا ساعة وصوله، وفي اليوم التَّالي تكون ضيافته من سُؤر الطَّعام والشَّراب، وهذا قدحٌ في القبيلة بأسرها، فهو ينتسب لقبيلة ليس لها من السُّؤدد ما لقبيلتي ربيعة ومضر، بُخلاءٌ لا أثر لهم إلاَّ في الشرّ[5]، ويتمنَّى أن يتحرَّر من قبيلته (بني نهشل) العربيَّة الأصيلة، ويلتحقَ بأبناء سابور بن أزدشير الفارسي![6]، وسرعان ما يتخلَّى عن فروع المجد؛ لفوات حظّه من الأصول، ويجعل من ذلك

(١) الدّيوان ١٠٦.
(٢) ماحضك: أخلص لك وصدق، حاشية الدّيوان ٢٠٧.
(٣) زرود: سريع الابتلاع، حاشية الدّيوان ٢٠٧.
(٤) الدّيوان ٢٠٨.
(٥) يُنظر: الدّيوان ٢٦١ "لقد دُفعتُ إلى قومٍ إذا انتسبوا".
(٦) يُنظر: الدّيوان ٢٦٥ "يا ليتني كنتُ من أنباط دسكرة".

مُبرِّرًا لتمرُّده القبلي فيقول:

حِـــيْنَ فَـــاتَتْنِي أُصُـــوْلُ الـــ ـــــمَجْدِ خَلَّيْـــتُ الفُرُوْعَـــا[١]

قرَّر مُتمرِّدًا بأنَّ الوضاعة اكتسبها سلفًا عن سلف، وهجا قبيلته لأنَّها تلهثُ وراء مصلحتها مُتنحّيةً عنه أيَّام رخائها، مُقاربةً له في أيام كسادها فيقول:

فأيَّـــامُ الكُسَـــاحِ[٢] يُقَـــارِبُونِي ويَمْتَنِعُـــون أيَّـــامَ القِطَـــافِ[٣]

سادسًا: التَّمرد الاجتماعي:

عاش الأحنف بين قومٍ تفشَّت بينهم الأدواء الأخلاقيَّة من حسدٍ، وكُره، وضغينة، وامتلأ عصْرهُ باللُّؤماء، الَّذين ما انفكَّ يستجدى عطفهم وعطاءهم لكن بلا جدوى، فهم أنذالٌ بلغ بهم الطَّمعُ مبلغًا؛ لذا لم يسلموا من هجائه المُقْذع، فيُحدّثنا عن صديقٍ له أرضاهُ زمنًا طويلًا، وعندما ضاق حاله وفاتتهُ حظُّوظ الدُّنيا كشَّر عن أنياب صداقته وقلَّ اهتمامه، فقال مُتضجّرًا من مآلات الصَّداقة والصَّديق:

وصـــاحِبٍ لـــي أَرْضَـــيْتُه زَمَنًـــا والـــدَّهْرُ تَتْلـــو سُـــرُورَهُ نُخَبُـــه[٤]

حتَّـــى إذا مـــا الزَّمَـــانُ قَصَّـــر بـــي وجرَّعَتْنـــــي كُؤُوسَـــــهُ نُوَبُـــــه

شَـــكَوْتُ مـــا بـــي فَبَـــاتَ مُشْـــتَكِيًا دَهْـــرًا عَبُوسًـــا دَارَتْ بِنَـــا كُرَبُـــه

أَبْـــدَى ازْوِرَارًا وَصَـــدَّ عـــن غَضَـــبٍ مِـــنْ غَيْـــرِ جُـــرْمٍ بَـــلْ خَانَـــه أَدَبُـــه[٥]

---

(١) الدّيوان ٣١٨.

(٢) الكساح: الزَّمانة في اليدين والرجلين، وأكثر ما يستعمل في الرجلين، ويقصد أيام الكساد والجدب، حاشية الدّيوان ٣٦٧.

(٣) الدّيوان، السَّابق.

(٤) النَّخْبة: العضَّة والقرصة والمراد أحزانه وآلامه، حاشية الدّيوان ٩٥.

(٥) الدّيوان، السَّابق.

لذلك وجد السَّلامة في البعد عنهم، فلئن يعيش وحيدًا منفردًا خيرٌ له من أن يعاشِرَ هؤلاء الأنذال الَّذين يُقدّمون مصالحهم على مصالح غيرهم، يقول في شأنهم:

عَـاتَبُوْني علـى انْفِـرادِيَ والوَحْـ ـــدَةِ بَعْـدَ الإِخْـوَانِ والأَصْـحَابِ

قُلْـتُ: لا تُكْثِـرُوا عَلَـيَّ فَـإِنّي لا أرى غَيْـرَ باخـلٍ مُرْتَـابِ

غَيَّـبَ المَـوْتُ مَـنْ أُحِـبُّ وأهْـوَى مـن ذَوي المَكْرُمَـات تَحْـتَ التُّـرَابِ

وَنَشَـا بَعْـدَهُم أُنَـاسٌ وَلَكِـنْ حَصَـلَتْ فِـيْهُمُ نُفُـوسُ الكِـلاَبِ(١)

ولا يجد غضاضة من قذفهم بأبشع ألفاظ السّباب فينعتُ نفوسهم بنفوس الكلاب!

ويتعرض للنَّقد اللَّاذع جرَّاء سلوكيَّاتٍ خاطئةٍ يقوم بها، لكنَّه كان يأنفُ من الاستماع لمشورتهم، وكثيرًا ما يُغلّبُ طبعهُ على الذَّوق السائد لمجتمعه فيقول متمرّدًا عليهم:

وَقائِلَـةٍ والـدَّهْرُ بَيْنِـي وبَيْنَهَـا أُغلِّـبُ رَأْيـي وَهْـيَ تَلْحَـى وتَعْتِـبُ

أقولُ لها قَوْلَ اللَّبِيْب وقَدْ لَحَتْ علـى خُلُـقٍ مـا عَنْـهُ للـنَّفْسِ

طُبِعْـتُ عَلَـى مَـا فِـيَّ غيـرَ فَمَـا لـيْ إلـى غَيْـرِ الطَّبِيْعَـةِ

ذَرِيْنِـي وَمـا أَرْضَـاهُ لـي مِـنْ فَكُـلٌّ إِلَـى مـا فِيْـهِ والطَّبْـعُ

تحسَّر الأحنفُ على العيش بين قومٍ بُخلاء لا يأبهون بحاجته، وتفشى بينهم المكر والخديعة، ومعَ ذلك اختطَّ لنفسه منهجًا في التَّعامل معهم، ففي الوقت الَّذي كان يتغاضى فيه عن هفواتهم نراهُ يتمرَّدُ عليهم بأقذع الألفاظ

(١) الدّيوان ١٠٧.

(٢) الدّيوان ١١١.

قائلًا:

إِذَا سَـبَّكَ الوَغْـدُ اللَّئِـيمُ مَسَـبَّةً مُقَبَّحَـة يَحْمَـى لَهَـا الصَّـدْرُ والقَلْـبُ

فَـلا تَمْـتَعِضْ مِنْهـا وطَـامِنْ لهـا ولا تَمْتَلِـئْ غَيظًـا وَقُـلْ: عَضَّـنِي

وامتلأ مجتمعه بالأشرار الَّذين بات الشَّرُ طبعًا فيهم لا يعرفون نقيضه، فلا يرجو الواحد منهم مودةً ولا إحسانًا؛ لأنَّ هذا يُصادم طبيعتهم الَّتي اعتادوها، فيقول مُحذّرًا من الإحسان إليهم:

لا تُحْسِـنَنَّ إلـى الشِّـرِّيْرِ مُطَّلِبًـا مِنْـهُ المَـوَدةَ فالإحْسَـانُ يُحْقِـدُه

تَـدْنُو إليـه بشـيءٍ لَـيْس يَعْرِفُـه والضِـدُّ يُنكـرُ ضِـدًّا لَـيْسَ يَعْهَـدُه

عَامِلـه بالشَّـرِّ وانظـرْ كَيْـفَ فالشَّـرُّ يُصْـلِحُهُ والخيـرُ يُفْسِـدُه[٢]

وقد يمنعه الخوف أحيانًا من ذمّ مُعاشريه فيلجأُ مُحتالًا لذمّ الزَّمان وإن كان هو في الحقيقة ذمًّا لهم[٣]، ولا يجد حرجًا من أن يصفهم بالبقر[٤]، بل هم أقلُّ شأنًا من الذَّر إذ يقول:

أُلامُ علـى أَخـذِ القَلِيـلِ وَإِنَّنـي أُقاسـي أُناسًـا هُـمْ أقَـلُّ مِـن

ويتمرَّدُ على العلاقات الاجتماعية فلا يرضى بعلاقات البين بين؛ فإمَّا صديقٌ لا يتبدَّلُ به، أم عدوٌّ لا يأمنُ مكْره؛ لذا استعاض عن بني جلدته الَّذين تنكَّروا لعرجته وفقره وأذاقوهُ صنوفًا من العذاب، فأنِسَ بصحبة الحيوانات الَّتي لا تخون ولا تتلوَّن على الدَّوام، فأهل زمانه لا همَّة لهم ولا يعرفُ منهم إلَّا الأذى والفُحش؛ لذا قرَّر الرَّحيل عنهم مُختارًا فقال:

---

(١) الدّيوان ١٢٩.

(٢) الدّيوان ١٦٧.

(٣) يُنظر: الدّيوان ٢٢٤ "برمتُ بما أراه وضاق صدري".

(٤) يُنظر: الدّيوان ٢٤٣ "حتَّى إذا ما بلوتُ قيمتهم".

(٥) الدّيوان ٢٨٩.

لمَّـا رَأَيْـتُ النَّـاسَ قَـدْ وُكِّلُـوا بِـالمَكْرِ والحِيْلَـةِ والبَـاسِ
جَعَلْـتُ هِـرَّ البَيْـتِ لـي مُؤْنِسًـا وصَـاحِبًا مِـنْ دُوْن جُلاَّسِـي
سَـلِمْتُ مِـنْ أَخْلاَقِـه دَائِمًـا وَكَـمْ تَأَذَّيْـتُ مِـنَ النَّـاسِ[1]

ويتفشَّى النّفاق والمنافقون في زمانه ويضيقُ بهم ذرعًا، فيتجنّب العيش معهم بل ويدعو عليهم، والسَّبب في كثرتهم تعدُّد المذاهب الدّينية في زمانه، فيأتي الواحد منهم بوجهٍ وتنطوي سريرته على أمرٍ لا يُحمد عُقباه تُقيةً وحذرًا، يقول في شأنهم:

فأمَّـا الَّـذِي يُرْضِـيك ظَـاهِرُ لَفْظِـهِ وَتَأْتِيْـكَ مِنْـهُ فـي المَغِيْـبِ قَوَارِعُـه
فَـذَاكَ الَّـذي لاَ قَـرَّب اللهُ دَارَهُ وَلا سَـمِعَتْ بالمفْرِحـاتِ

عاش الأحنف فقيرًا في مجتمع لا يعرف أيَّ آصرةٍ للتَّكافل الاجتماعي، فدفع به الفقر إلى التَّمرُّد دفعًا، وراح يبحثُ عن لقمة عيشه جائبًا البلاد طولاً وعرضًا، فما كان من الأبواب إلاَّ أن تُسدَّ في وجهه، ولم يعد أمامه إلَّا طريقُ الكُدْية، وما حيلةُ المُضطرّ إلَّا ركوبها فيقول:

قَـدْ كَانَـتِ الكُدْيَـةُ إِقْطَـاعِي[3] فاسْتَعْصَـمَ النَّـاسُ بِأَطْبَـاعِي
قَنِعْـتُ مُضْطَـرًّا لضَـعْفِ القُـوَى عَـنْ نَيْـلِ مَـا يُدْرِكُـهُ السَّـاعِي[4]

ومعَ أن أصدقاء الكُدية كانوا أقرب النَّاس له، يتقاسمون العيش والهمَّ معًا، إلَّا إنَّه تمرَّد عليهم أيضًا ولم يسلموا من سلاطة لسانه فقال فيهم:

(١) الدّيوان ٣٠٠.
(٢) الدّيوان ٣١٩.
(٣) إقطاعي: مباحة لي، حاشية الدّيوان، السَّابق.
(٤) الدّيوان، السَّابق.

حَظِّي بـه مَعْشَرٌ خَسَّتْ نُفُوْسُـهُمُ مِثْــلُ البَهَــائِمِ حُــرٌّ فِــيهُمُ حَــرَفُ

إلاَّ عِيَــالاً أَبَــادَ اللهُ شَــأْفَتَهم[١] مَــا مِــنْهُمُ أَحَــدٌ لِلْمَــاءِ يَغْتَــرِفُ

يَسْــتَهْتِفُوني إِلَــى إِحْــرَازِ قُــوتِهُمُ وَلَسْــتُ مِمَّــن لضَــعْفِ الرِّجْــلِ

يُكَلِّفــوني سُــؤالَ النَّــاسِ نَــائلَهُم كُرْهًــا ويَمْنَعُنــي مــن ذلــك الأَنَــفُ

يَسْتَنْهِضُــوني إلــى مــا لَــيْسَ إنَّ الَّــذِي بَيْنَنَــا جِــدًّا لَمُخْتَلِــفُ[٢]

ضاق بالعُميان وكره معاشرتهم، وهذه الطَّائفة من أبرز الطَّوائف الاجتماعية التي تردَّد ذكرها في شعره، فسخر منهم وهجاهم هجاءً لاذعًا، بل إنَّه يستبعدُ أن تحلَّ فيهم شفاعة الرَّسول -ﷺ- فيقول مُتمرّدًا عليهم:

إِذَا شَــفَعَ الرَّسُــولُ لِكُــلِّ عَــاصٍ فَمَــا تَرْجُــو الأَسَــاطِلَةُ الشَّــفَاعَه[٣]

وحين تحرَّر من جميع العلائق الاجتماعية علَّل لذلك مُؤكّدًا على أنَّ الصَّداقة الحقَّة هي صداقة الدّرهم والدّينار، فهما أنفع من صديقٍ لا ترى ودَّه إلَّا عند حاجته، بل قد تحتاجه فيصدُّ عنك ولا تجد منه ودًّا فيقول في ذلك:

قِطــعٌ[٤] تَكُــوْنُ مَعِــي تُنَفِّــذُ وَأَرَى لَهَــا عِنْــدَ الشَّــدَائدِ مَوْقِعــا

كَــمْ قَــدْ دَعَــوْتُ أَخِــي فَــوَلَّى وَدَعَوتُهــا فَوَجَــدْتُها لــيَ أَنْفَعَــا[٥]

ومن الطَّوائف الاجتماعية التي تمرَّد عليها طائفة النُّساك فوصفهم بالمكر والتَّدليس، فهم الدَّواهي وإن لانت ظواهرهم، يتسربلون بلباس الدّين وهم عنه

(١) الشأفة: قرحة تخرج في القدم وتكوى فتذهب، وفي الدُّعاء: استأصل الله شأفتهم، أي: أذهبهم كما أذهبها، حاشية الدّيوان ٣٥٤.

(٢) الدّيوان ٣٥٤.

(٣) الدّيوان ٣٢٥.

(٤) مُراد الشاعر دراهمه ودنانيره، حاشية الدّيوان ٣٣٣.

(٥) الدّيوان، السَّابق.

بعيد، يأمرون النَّاس بالمعروف علانية، وإذا ما استتر الواحدُ فيهم قارف الذَّنب بلا هوادة، فهجاهم بأقذع الألفاظ ودعا عليهم قائلًا:

لا قَـدَّسَ اللهُ قَوْمًـا إنْ بَـدَوْا وَعَظُـوا حَتَّـى إذا غَلَقُـوا أبْـوَابَهم فَسَـقُوا[1]

سابعًا: التَّمرد السّياسي:

عاش الأحنف في عصر ماجت فيه الظُّروف السّياسية واضطربت؛ لذا وقعت البلاد بين فكَّي الفتن الدَّاخلية المُتمثّلة في الخلافات بين الأسرة الحاكمة، والفتن الخارجيَّة المُتمثّلة في الخلافات الَّتي يشنُّها الأعداء عليهم من الخارج، ومن الطَّبعي أن تُؤثّر هذه الأحداث على شاعر مُلْهَمٍ كالأحنف، فنراه يشكو من أوضاع البلاد وما حصل فيها من تفاوتٍ طبقي، فالحياة في قصور الخلفاء ليست كحياتهم، يقول واصفًا أحد هؤلاء الأنذال الَّذين يلفتون الأنظار لجمال هيئتهم، بينما تنطوي نفوسهم على النَّذالة واحتقار من هم دونهم:

بَصُرْتُ بـهِ والكَلْـبُ يَمْشِـي أَمَامَـهُ فلـــم أَدْرِ فـــي التَّشْـــبِيْهِ أَيُّهُمَـــا

فَتًـى يُعْجِـبُ الـرَّائِينَ زِيًّـا وَمَنْظَـرًا وَأَيْسَـــرُ مـــا فيـــهِ النَّذَالـــةُ

ويُصرّحُ الأحنف في هجائه للسّياسات، ولا يجد حرجًا في ذلك، بينما نراه في أحايين كثيرةٍ يكتفي بالإشارة والتَّعريض؛ خوفًا من مغبَّة التَّصريح، فهو يداري السّياق بفطنته، ويُنزل كلّ شخصٍ منزلته التي يستحقها دون وجلٍ فيقول:

وَلَـــمْ أَرَ مِثْـــلَ فَتًـــى عَاقِـــلٍ يُـــدَارِي الأُمُـــوْرَ عَلَـــى فِطْنَتِـــه

فَيَجْـــزِي الصَّـــدِيقَ بِإِحْسَـــانِه ويَجْـــزِي العَـــدُوَّ عَلَـــى غَفْلَتِـــه

(١) الدّيوان ٣٨٠.

(٢) الدّيوان ١٠٩.

ويَلْـــبَسُ لِلـــدَّهْرِ أَثْوَابَـــه ويَسْـجُدُ للقِـرْدِ فِـي دَوْلَتِـه![١]

وهنا يصرّح أنَّ من الحُكَّام من هو في منزلة القِرد مُستبدٌّ بدولته، ومنهم من يتخلَّى عن مهامه المنُوطة به فيجعل بلاده أُلعوبةً في أيدي الرُّعاع، بينما النَّاس كالإبل المبثوثةٍ هنا وهناك، همُّها الوحيد السَّعي وراء الكلأ، والحاكم كذئبٍ يرعى فريسته في الفلوات، يقول حول هذا المعنى:

إِذَا حُكمـاءُ الأرضِ أغْضَـوْا علـى جُفُونًـا أَغـاضَ الحُـزْنُ مِـنْ
فَـلاَ قَلْـبَ إلَّا فيـهِ لَـذْعُ ضَـرِيمةٍ ولا نَفْـس إلَّا وَهْـيَ فـي

والقرامطة من الطَّوائف السّياسيَّة الظَّالمة الَّتي عرَّض بها في شِعْره، فذكر أفعالهم الشَّنيعة مع الحُجَّاج وما أحدثوه في الحرم المكيّ من خرابٍ وتدمير، وحالهم في اعتدائهم هذا كحال البراغيث الَّتي تفتك بالجسد مُحدثةً فيه اللَّسع والأذى[٣]، وفي نموذجٍ آخر يذكر فيه بعضًا من أوصاف هؤلاء السَّاسة، فهم يحسدون الفقراء على بُلغةٍ من العيش تأتيهم، ولا ينظرون لحال النّعم التي تتكدَّسُ في أيديهم أو قد يتعامون عنها، وإذا ما تولَّى الواحد فيهم منصبًا رفيعًا قلَّ جُوده عن النَّاس بل انعدم، أمَّا شرُّهم فيزداد يومًا بعد يوم[٤]، وهم والحالة هذه يُذكّرهم الأحنف بالنّهاية الحتميَّة الَّتي تنتظرهم قائلًا:

كَـــمْ جَـــالِسٍ مُـــتَعَظِّمٍ بَـيْن المَسَـانِدِ[٥] والمَسَـاوِرْ[٦]
ذَلَّـــتْ لَـــهُ هِمَـــمُ الرِّجَـــا لِ لِقَوْمِـــه نَـــاهٍ وآمِـــرْ

(١) الدّيوان ١٣٢.
(٢) الدّيوان ١٣٧.
(٣) يُنظر: الدّيوان ١٨٨ "أُشبّهني وإيّاهم صباحًا".
(٤) يُنظر: الدّيوان ١٩١ "وأهل زماننا هجروا المعالي".
(٥) المساند: جمع مِسْنَد وهو ما يسند إليه الشيء، حاشية الدّيوان ٢١٧.
(٦) المساور: وهو المتكأ من أدم أي: جلد، السَّابق.

لَعِبَــتْ بِهِــم أَيْــدِي المَنُــو نِ فَعَــانَقُوا ظُلَــمَ الحَفَــائِر[1]

وبكلّ سوْداوية يصف الأحنف حياته بين هؤلاء الحُكَّام الَّذين عربدوا في البلاد حتَّى غدا الحُرُّ بينهم ناحلًا، فكان النَّذل منهم يتجبّرُ هنا وهناك مُعْتدًّا بسُلطته غيرُ آبهٍ بهؤلاء الضُّعفاء، وكانت السّيادة في أشرارهم، ومن الطَّريف أنَّ الأحنف حتَّى في مناماته كان مُتمرّدًا فيُشبّه حُكّامه بالخنازير لجشعهم قائلًا:

أُرِيْــتُ فــي النَّــوم دُنْيانــا مُزَيَّنَــةً مِثْــلَ العَــرُوسِ مَشَــتْ بــين
قـد حُلِّيَـتْ وَهْـيَ تَبْكِـي فـي تَأَوُّهِهـا بِكُــلِّ مُعْتَقــدٍ عَــنْ سُــوء تَــأْثِيرِ
تُــوْمِي إلــى كُــلِّ حُــرٍّ أَنَّهــا طُوِيَــتْ عَلَــى مَكَارِهِــهِ طَــيَّ الطَّــوامِير[2]
فَقُلْــتُ: جُــوْدِي فَقَالَــتْ لــي وقــد إذا تَخَلَّصْــــتُ مِــــنْ أَيْــــدِي

ويُبالغ في التَّمرُّد عليهم مُلحقًا الشَّر بهم، ويرى أنَّ هناك تناسبًا طرديًّا بين زيادة أموالهم وزيادة كفرهم، ويُحذّر من مصاحبة الأُمراء الَّذين ثروا ثراءً فاحشًا؛ لأنَّ بَغْيهم يَنْصَبُّ على الضُّعفاء بلا هوادة، وهو في الحالة هذه يُفضّل العيش مع البَهْم لينعم بقدرٍ كافٍ من الحُرّية، لا إن يكونَ بصحبة أميرٍ مُتسلّطٍ يقوده كيفما شاء، وحُقَّ للأحنف هذا فالمجد للحُرّيات وزمن العبيد ولَّى وراح يقول:

لا تَصْــــــحَبَنَّ أَمِيــــــرًا ولا غَنِيًّــــــا قَــــــدِيرَا
وَكُــــنْ مَــــعَ الــــبَهْمِ واقْنَــــعْ تَــــرَى القَلِيْــــلَ كَثِيــــرَا
تَكُــــوْنُ فِــــيْهِمْ طَلِيقًــــا وَفِــــي يَدَيْــــهِ أَسِــــيرَا[4]

(١) الدّيوان ٢١٧-٢١٨.
(٢) الطوامير: الصحائف، حاشية الدّيوان ٢٥٣.
(٣) الدّيوان، السّابق.
(٤) الدّيوان ٢٧٩.

ومن قَدْحِه للسِّياسات الغاشمة ذكره للحادثة الأليمة التي وقعت بين (مُعِزِّ الدَّولة) وَ(نَاصِر الدَّولة) حينما اقتتلا على أمورٍ سياسية، وما أحدثته هذه الفاجعة في البلاد من جوعٍ ظهر على مُحيَّا النَّاس، فراحوا يبحثون عن المُنقذ والمُعين وهيهات لهم أن يجدوه يقول:

لَقَــدْ تَــرَكَ الوُجُــوهَ الجَــوْ عُ تَعْرِفُهــــــا وتُنْكِرهــــــا

وَلَــيْسَ لهَــا سِــوَى الرَّحْمَــ ــنِ بَعْــدَ الكَسْــرِ يَجْبُرُهــا[١]

ومن تمرُّده ما صرَّح به من سيادة أقوامٍ ليسوا بأهلٍ للسّيادة، فتلاشت هيبتهم لاسيَّما مع توافد الفرس والتُّرك وانتشارهم في البلاد، فحدث ما حدث من تنافسٍ كانت الغلبةُ فيه للأقوى، وعليه فقد زالت هيبة الخليفة العربيّ من قلوب النَّاس وساد من لا يستحق، يقول مُتأسّفًا على حال الأمَّة:

هَــــذَا الزَّمــــانُ وأَهْلُــــهُ بَــــيْنَ المذلَّــــةِ والخَسَــــارَه

رَاعِــــي القَطيْــــعِ مُسَــــلَّمٌ يُعْطِــــي الفَتِــــيَّ بــــه الخِفَــــارَه

لــــم يَبْــــقَ مــــن نَكَــــدِ الزَّمَــــا نِ وسُــــــخْفِه إلاَّ الإشَــــــارَه

إلَّا صُــــعُودُ الكَرْكَــــدَنِّ إلَــــ ــــى الأَذَانِ عَلَــــى المَنَــــارَه[٢]

ويُحدّثنا عن تكالب الحُكَّام على بلاده وتناهبهم لخيراتها، صائنًا نفسه عن التَّخبُّط مع السَّفلة الذين لا تهمهم إلَّا مصالحهم بينما الفقراء يتضوَّرون جوعًا؛ لأنَّ الوافد اللَّئيم لم يدع لهم ما يسدُّون به رمق جوعهم فيقول:

تَنَاهَبَهــا اللِّئَــامُ وكُــلُّ ذِئْــبٍ وَحَالَــتْ دُوْنَ جَــدْواها السِّــبَاعُ

(١) الدّيوان ٢٨٠.

(٢) الدّيوان ٢٨٨-٢٨٩.

وصُـنْتُ الـنَّفْسَ عـن مَـدْحٍ وذَمٍّ وَتَــرْدَادٍ إلــى السِّــفَلِ الرَّعَــاعِ[1]

وكثيرًا ما كان يأنفُ من تملُّق الملوك أو التَّردد على أبوابهم؛ مُعلّلاً ذلك بأنَّه لن يجد منهم إلَّا الوضاعة والرَّد الباهت الذي تأنف الأُذن من استماعه[2]، ومن شدَّة حَنَقِه عليهم كان يلومُ الكوكب الذي أسعد الملك معَ أنَّه في الحقيقة لا يستحق ما هو فيه من جاهٍ وسُؤدد، يقول مُخاطبًا الكوكب مُعْترضًا مُتمرّدًا:

بَلَّغــــتَ وغْــــدًا سَــــاقِطًا فَــوْقَ المُنَــى سَــمْعًا وطَاعَــه[3]

وفي الوقت الذي يكون فيه الوالي جائرًا تسوء أحوال رعيَّته، فنرى الغنيَّ منهم يجحدُ غِناه مُتظاهرًا بالفقر، ويفسد النَّاس وينعدم الوفاء بينهم، وينكفئ الواحد منهم على نفسه وليته يسلم![4]

وختامًا فهذه هي الاتّجاهات التي صبَّ الأحنفُ فيها جام تمرُّده:

اتّجاه ديني: تمرَّد فيه على بعض الشَّعائر الدِّينية وتهكَّم بها.

اتّجاه نفسي: لم تسلم فيه نفسه من النَّقد اللَّاذع والسُّخرية من حاله.

اتّجاه أخلاقي: تمرَّد فيه على القيم والسُّلوك، وجَانَبَ الذَّوق فيه.

اتّجاه وجداني: تحدَّث فيه عن علاقاته الوجدانية مع مجتمعه، وما قاساه من توتُّر في العلاقات التي أودت به إلى الوحدة والاغتراب عنهم.

اتّجاه قَبَلي: صبَّ فيه جام غضبه على قبيلته التي تنكَّرت له وعقَّته.

اتّجاه اجتماعي: ذكر فيه بعضًا من القضايا الاجتماعية التي تفشَّت في البلاد وكادت تجرُّها للهاوية.

اتّجاه سياسي: شقَّ فيه عصا الطَّاعة على السّياسات الظَّالمة الَّتي وقعت

(١) الدّيوان ٣٢١.

(٢) يُنظر: الدّيوان ٣٢٨ "وتركتُ أبواب المُلوك".

(٣) الدّيوان ٣٢٨.

(٤) يُنظر: الدّيوان ٤٢٤ "قد ظهر الجَورُ من الوالي".

البلاد تحت وطأتها ردحًا من الزَّمن.

ومع كلّ ما تقدَّم لا نلومُ الأحنف عمَّا بدر منه؛ فهو ابن بيئته ومن الطَّبعي أن تُؤَثّر فيه هذه الظروف الواحدة تلو الأخرى، ونجد صداها مُدَوّيًا في شِعْره.

الخَـاتِمــة

وهنا تنتهي رحلتنا الأدبيَّة الماتعة مع ديوان الأحنف العكبري، وقد أسفر البحث عن نتائج منها:

- الأحنف العُكبري بشاعريَّته المُتمرّدة يُشكّلُ رمزًا من رموز الحِرمان الَّذي ذاع صيته في عصرٍ كان يعجُّ بالظَّلمة والطَّبقية.
- ينشدُ أدب الأحنف المُتمرّد غايتين نبيلتين: إحداهما التَّحرُّر من السُّلطات الجائرة، والأخرى التَّخلُّص من ويلات القمع الاجتماعي الَّذي أُرهق معه الفقراء أيَّما إرهاق.
- هدم الأحنف الهُوة الَّتي كانت بينه وبين أبناء مجتمعه بعد أن غدا شاعرًا يتمتعُ بالشَّعبية العريضة في مجتمع المحرومين.
- الأحنف المُتمرّد إنسانٌ بالدَّرجة الأولى؛ هَالَهُ ما حدث في مجتمعه من تناقضاتٍ وتفاوتٍ معيشيّ فأحسَّ بالقهر والتَّأزم فراح يبثُّ لواعج شكواهُ شعرًا.
- الأحنف الثَّائر لا يجد غضاضةً في ذكر أسماء الزَّعامات الفاسدة؛ أملاً منه أن ترعويَ وتعود لرشدها، فالوضع مُزرٍ ولا يحتمل الكِتمان.
- ترجم الأحنف في تمرُّده بعضَ ما يشعرُ به من فقدٍ، وغربةٍ، وصراعٍ في مجتمع لم يرحم فَقْره ولا عَرْجتَه.
- استقى الأحنف في شعره المُتمرّد ألفاظًا وصُورًا من البيئة المحلّية؛ فهو لم يحتج إلى تزويقٍ وتحسينٍ بقدر ما كان مأزومًا بهاجس إيصال صوتٍ مكلوم لمن يمتلك زمام الأمر.
- الأحنف في شعره النَّاقمُ فيه على السُّلطة والمجتمع كان جريئًا في قول كلّ ما يدور في خلَده؛ لأنَّ الفقر كواه بناره فآثر الصّدق الفنّي غيرُ آبهٍ بخليفةٍ ولا عقاب.

- أعلن الأحنف تمرُّده على جميع أطياف المجتمع وشرائحه من: (سُلطة حاكمة، قِيم، عادات، الدّين ورجاله)؛ لأنَّه كان يطمحُ إلى حياةٍ كريمةٍ عادلةٍ يأخذ الضَّعيف فيها حقَّه قبل القويّ.
- جاهد الأحنف في شعره جهادًا ليصل لنتيجةٍ مُرضيةٍ تجعل من تمرُّده تمرُّدًا فاعلًا يُسهم في
إيجاد الأفضل؛ لذا لم يكن تمرُّده من أجل التَّمرُّد فحسب.
- لصدق لغته المُتمرِّدة حُفظَت أشعاره وتناقلها الرُّواة، بدليل وصولها إلينا سليمةً إلاَّ من تقادم العهد.
- صوَّر الأحنف في أدبه المُتمرِّد التَّناقض الذي كان يعجُّ به المجتمع؛ فقد كان الخلافُ قائمًا على أشُدّه بين السَّادة والعبيد، فجاء شِعره ترجمةً فعليَّة لما يحدثُ في عصره.
- خلَّد الأحنف في شِعره المُتمرِّد ذكرى لطائفةٍ من المُكدين؛ فقد كان واحدًا منهم يتجرَّع ما يتجرَّعونه من ألمٍ وحسرة.
- ومهما يكن من أمرٍ فالأحنفُ في شِعره المُتمرِّد كان ناقدًا اجتماعيًّا؛ نقد الكثير من العِلل والظَّواهر المُجتمعيَّة.
- وختامًا فإنَّ الشِّعر المُتمرِّد ما هو إلَّا استجابةً لنداء الإنسانيَّة الَّتي تتُوق لحياةٍ كريمة؛ فجاء شِعرهُ صورةً صادقةً للضُّغوط الَّتي ناء بها كاهله، فاستنطق كلَّ ما حوله ليُشاطره الأسى والحسرة.

وإن كان من توصية يخرج بها البحث فهي تدور في فلك الدّيوان، إذ لا يزال المجال رحبًا في أن تنهض حوله دراسات متعدّدةٍ تتناول جوانب شتى من شخصيَّة الأحنف وشِعره؛ منها الآثار النَّفسية الَّتي انعكست على شعره، ونظرية التَّلقي في ديوانه، والحمدُ لله على التَّمام.

المَصادر والمَراجع

(١) **اتجاهات الشّعر العربي في القرن الثاني الهجري**، محمد مصطفى هدَّارة، المكتب الإسلامي، ط: ١، ١٤٠١هـ.

(٢) **الأحنف العُكبري شاعر المُكدين والمُتسوّلين**، أحمد الحسين، (مجلة التراث العربي)، (٩٦)، ١٤٢٥هـ.

(٣) **أخبار الحمقى والمُغفَّلين**، ابن الجوزي، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، ط: ١، ١٤١٧هـ.

(٤) **أدب الفئات الهامشية في العصر العباسي**، أحمد الحسين، (مجلة التراث العربي)، (٧٥)، ١٩٩٩م.

(٥) **الأُسس النَّفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة**، مصطفى سويف، دار المعارف، ط:٤، ١٩٨١م.

(٦) **أُسس النّقد الأدبي عند العرب**، أحمد بدوي، نهضة مصر، ط: ٧، ٢٠٠٩م.

(٧) **أشعار اللُّصوص وأخبارهم**، عبد المعين الملوحي، دار الحضارة الجديدة، ط: ٢، ١٩٩٣م.

(٨) **أعلام الجبابرة معجم الأدباء ذوي العاهات**، كارين صادر ونصير الجواهري، دار صادر–بيروت، ط: ١، ١٩٩٦م.

(٩) **الأعلام**، الزِّرِكْلي، إشراف: زهير فتح الله، دار العلم للملايين –بيروت، ط: ٤، ١٣٩٩هـ.

(١٠) **الأغاني**، لأبي الفرج الأصبهاني، دار إحياء التراث –لبنان.

(١١) **البخلاء**، الجاحظ، دار بيروت –بيروت، ١٤٠٠هـ.

(١٢) **البير كامي وأدب التَّمرد**، چون كروكشانك، ترجمة: جلال العشري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

(١٣) **تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول)**، شوقي ضيف، دار المعارف، ط: ٨، ١٩٦٦م.

(١٤) **تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني)**، شوقي ضيف، دار المعارف، ط: ١٢، ٢٠٠١م.

(١٥) **التَّمرد في شعر العصر العباسي الأول**، فيصل حسين غوادره، دار جُهينة –عمَّان، ط: ١، ١٤٢٥هـ.

(١٦) **التَّمرد في شعر العصر العباسي الأول**، فيصل العلي، (أطروحة دكتوراه)، جامعة مؤتة، ٢٠٠٤م.

(١٧) **حكايات الشُّطَّار والعيارين في التُّراث العربي**، محمد رجب النَّجار، ط: ٢، ١٩٨٩م.

(١٨) **الحيوان، الجاحظ**، تحقيق: يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال –بيروت، ١٤١٢هـ.

(١٩) **دراسات في الأدب العباسي**، ياسين عايش خليل، دار الفكر –عمَّان، ط: ١، ١٤٣٠هـ.

(٢٠) **ديوان الأحنف العكبري نقدٌ واستدراك**، عبد الله المنيف، (مجلة عالم الكتب)، ع (١)، مج (٢)، ١٤١٨هـ.

(٢١) **ديوان الأحنف العكبري (ت٣٨٥هـ)**، تحقيق: سلطان بن سعد السلطان، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط: ١، ١٤٢٠هـ.

(٢٢) **الذين أدركتهم حرفة الأدب**، طاهر أبو فاشا، دار الشروق –القاهرة، د. ط. ت.

(٢٣) **الرَّفض في الشعر العربي في عصر صدر الإسلام**، بشَّار سعدي إسماعيل، دار مجدلاوي –عمَّان، ط: ١، ٢٠١٤م.

(٢٤) **سير أعلام النبلاء**، الذَّهبي، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط: ٦، ١٤٠٩هـ.

(٢٥) **شعر التَّمرد في الأعصر العباسية**، حسن جعفر نور الدين، رشاد برس –بيروت، ط: ١، ١٤٢٤هـ.

(٢٦) **شعر الصعاليك منهجه وخصائصه**، عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية.

(٢٧) **الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول**، حسين عطوان، دار الطليعة –بيروت، ط: ٢، ١٩٨١م.

(٢٨) **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين –بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ.

(٢٩) **صحيح البخاري**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم –بيروت، ط: ١، ١٤٠١هـ.

(٣٠) **الصَّعلكة والفُتوَّة في الإسلام**، أحمد أمين، دار المعارف –مصر، ١٩٥١م.

(٣١) **ظاهرة الكدية في الأدب العربي نشأتها وصفاتها الفنية**، حسن إسماعيل عبد الغني، مكتبة الزهراء، ط: ١، ١٤١١هـ.

(٣٢) **ظواهر التَّمرد في الشعر العربي المعاصر**، محمد العزب، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الأزهر، ١٩٧٦م.

(٣٣) **ظواهر من التَّمرد في نماذج من شعر العصر العباسي الأول**، صالح الشتيوي، (مجلة جامعة دمشق)، (١+٢)، مج (٢٠)، ٢٠٠٤م.

(٣٤) **قراءات في تمرد الشُّعراء العباسيين على السُّلطة**، ياسين عايش خليل، دار المسيرة – عمَّان، ط: ١، ١٤٣٢هـ.

(٣٥) **القلق والتَّمرد في شعر بشَّار بن بُرد**، فاطمة الزهراء الموافي، نصر عبَّاس، مكتبة الآداب – القاهرة، ط: ١، ١٤٣٢هـ.

(٣٦) **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر–بيروت، ط: ١.

(٣٧) **المحاسن والمساوئ**، إبراهيم البيهقي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية –بيروت، ط: ١، ١٤٣٢هـ.

(٣٨) **مختار الصّحاح**، الرازي، دار الفكر، ١٣٩٢هـ.

(٣٩) **معجم تراجم الشعراء الكبير**، يحيى مراد، دار الحديث –القاهرة، ١٤٢٧هـ.

(٤٠) **معجم الشعراء العباسيين**، عفيف عبد الرحمن، دار صادر –بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م.

(٤١) **موسوعة أدب المحتالين**، عبد الهادي حرب، دار التكوين –دمشق، ٢٠٠٨م.

(٤٢) **موسوعة الشعراء الصعاليك من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث**، حسن جعفر نور الدين، رشاد برس –بيروت، ١٤٣٤هـ.

(٤٣) **موسوعة شعراء العصر العباسي الثاني**، عبد عون الروضان، دار أسامة –عمَّان، ط: ٣، ٢٠٠٩م.

(٤٤) **النَّباهة والاستحمار**، علي شريعتي، الدار العالمية، بيروت –لبنان، ط: ١، ١٤٠٤هـ.

(٤٥) **نظرات في ديوان الأحنف العكبري**، عبد العزيز بن ناصر المانع، مجلة (العرب)، مج (٣٧–٣٨)، ٢٠٠١–٢٠٠٣م.

(٤٦) **يتيمة الدَّهر في محاسن أهل العصر**، الثعالبي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع –القاهرة، ط: ١، ٢٠١١م.

تاسعًا :
القانون